جامعة عبد الرحمان ميرة- بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

تمثيل الواقع العربي في رواية "محال" ليوسف زيدان

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

خالدي حنان.

قادري لونة.

إشراف الأستاذة:

د. صوالح وهيبة.

لجنة المناقشة:

الأستاذ: أ.د. شيبان سعيد، جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية .....رئيســــــــــــــا

الأستاذة: د. صوالح وهيبة، جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية .....مشرفا ومقررا

الأستاذة: د. مسالي ليندة، جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية .....ممتحــــــــــــــنا

السنة الجامعية: 2024/2023

إهداء:

بسم الله الرحمان الرحيم

"قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون "

الحمد لله حبا وشكرا وامتنانا على البدء والختام، ما ضاع جهد الأمس في يوم وسدى، والله يجزي الحسن بالإحسان.

في هذه اللّحظة الأكثر فخرا، أهدي عملي هذا إلى نفسي أولاً، فهي التي قالت من فرط الطموح أنا لها، وظلت تسعى في همة حتى عانقت غايتها ونالتها.

إلى من زين اسمي بأجمل الألقاب، وكلل عرق جبينه ليمهد لي طريق العلم، طاب بك العمر، وطبت لي عمرا، يا والدي العزيز.

إلى من جعل الله الجنة تحت أقدامها، وكان دعاءها سر نجاحي، إلى من أرشدتني في كل أيامي ولا تزال تفعل إلى الآن ... والدتي الحبيبة.

إلى أمي الثانية، التي وقفت معي في كل مشاويري، وكانت جزءً من هذه الانتصارات، إلى ضلعي الثابت الذي لا يميل ... أختي الغالية.

إلى من رزقت بهم سندا وملاذا، وشددت عضدي بهم ... إخواني.

إلى زوج أختي الذي كان بمثابة أخي الأكبر..

إلى صديقات المواقف وأخوات العمر، شريكات الدرب، إلى من كانوا دوما موضع اتكاء في كل عثرات حياتي: أمال، لينة، أحلام.

إلى كل عابر في حياتي ترك أثرا جميلا.

وكل امتناني لأستاذتي المشرفة د.صوالح وهيبة، التي وجهتني طوال هذا المشروع.

إلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب، وإلى كل أستاذ في مسيرتي علمني حرفا من حروف الأبجدية.

إلى زميلتي التي شاركتني وقاسمتني التعب ... حنان

إليكم جميعا أهديكم عملي، والحمد لله دائما وأبدا، على ما وهبني وجعلني مباركة، وأعانني أينما كنت.

لمحة

إهداء:

الحمد لله حبا وشكرا وامتنانا، الحمد لله الذي بفضله أدركت أسمى الغايات

أهدي بكل حب نجاحي

إلى نفسي أولا ثم إلى من سعى لإتمام هذه المسيرة دمتم لي سندا لا عمر

إلى من علموني أن الدنيا كفاح وسلاحها العلم والمعرفة إلى الذين لم يبخلوا علي بأي شيء إلى من سعوا وناضلوا لأجل راحتي ونجاحي

إلى أعظم وأعز النّاس على روحي

"أمي وأبي" دمتما لي بكل خير وحب وعافية وطول العمر

إلى ضلعي الثابت وأمان قلبي إخواني "سليم، عماد، ماسي"

إلى أصحاب الفضل العظيم صديقات الرحلة والنجاح

إلى من وقفوا بجانبي كلما أوشكت أن أتعثر إلى رفيقات الدرب والسنين "صديقاتي"

إلى مشرفتي الأستاذة "وهيبة صوالح" أشكرك لما بذلت من جهد حثيث وتوجيه رشيد

لك أزكى التحيات والتقدير

إلى من شاركتني هذا الطريق وقاسمتني المتاعب طيلة هذا العمل زميلتي وصديقتي "لونة"

إلى كل أسرة قسم اللغة والأدب وإلى كل أستاذ فضل علي بتوجيهاته القيمة.

حنان

مقدمة

مقدمة:

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين، أما بعد:

تعدّ الرواية مساحة خصبة لأفكار الكاتب ليعبر فيها عن معظم القضايا الإنسانية التي تشغل تفكيره بمختلف مجالاتها "السياسية الاجتماعية والدينية.."، ويمثل فيها ما يراه على الواقع تمثيلا تتفاوت درجته بتفاوت أهميته عنده أو في مجتمعه. وتعتبر رواية "محال" ليوسف زيدان واحدة من هذه النماذج الروائية التي تقدم للقارئ رؤية الكاتب للواقع العربي، وتتجلى على صفحاتها مشاهد وأحداث تمثل الحياة بأبعادها المختلفة، وتعزّز الفهم العميق للثقافة والتاريخ العربي.

تستحضر رواية "محال" بأسلوبها البسيط والسلس شخصيات متنوعة ومعقدة، تعكس تنوع فئات المجتمع العربي وتجاربها المتنوعة، فتسافر الشخصيات عبر الزمن والمكان لتستدعي التاريخ إلى الواجهة، وترصد تحولات المجتمع وتصور الصراعات الثقافية والاجتماعية التي يمر بها الأفراد، وتفتح نافذة على تفاصيله وتعقيدات، وهو ما يعتني به البحث الموسوم بعنوان: "تمثيل الواقع العربي في رواية محال ليوسف زيدان"، وفي ظل هذا الموضوع تبادرت إلى أذهاننا إشكالية رئيسية تتمثل في:

- كيف جسد يوسف زيدان الواقع العربي بجوانبه السياسية، الاجتماعية والدينية في روايته "محال"؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة هي:

- كيف انعكست الأحداث الواقعية على مختلف المجتمعات كما تناولتها الرواية؟
- إلى أي مدى تعبر رواية "محال" عن هموم الإنسان العربي واهتماماته بصدق؟
- ما القضايا والموضوعات الواقعية التي ركز عليها يوسف زيدان في رواية "محال"؟

المنهج:

تمّ اعتماد المنهج الاجتماعي الذي يهتم بدراسة الأدب دون عزله عن الظروف الخارجية للنص، وهو ما تركز عليه الرواية من مواضيع تخص بيئة الكاتب وظروف الحياة من حوله.

وقد تمّ الاعتماد على عدد من المراجع التي تناولت الواقع العربي بالدراسة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: كتاب لعبد الوهاب بوشليحة " إشكالية الدّين، السياسة والجنس في الرواية المغاربية "، د.ط الجزائر، دار ميم للنشر، 2020م. وكتاب لإبراهيم أنيس "في اللهجات العربية"، ط9، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1995م. كتاب لعزيز شكري ماضي "في نظرية الأدب"، ط1، بيروت، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر، 2005م.

جاءت خطة البحث كالآتي: مقدمة، ثلاثة فصول تطبيقية وخاتمة.

الفصل الأول والموسوم بالواقع التاريخي والتأريخي في محال، تمّ التركيز فيه على تبيان علاقة الرواية بالتاريخ، وكيفية معاودة تأريخ الروائي للوقائع التي وظفها في مُحال، وتمّ تقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة عناصر أساسية وهي: الأحداث والوقائع التاريخية، الشخصيات التاريخية والتأريخية، ومعظم الآثار والمعالم التي تحظى بالأهمية التاريخية.

وجاء الفصل الثاني بعنوان: الواقع الاجتماعي في محال، وتمّ الكشف فيه عن دور الأدب في إزالة الستار عن العلاقات الاجتماعية، وما يدور في المجتمع من قضايا وعادات، وتمّ تقسيمه كالتالي: المعضلات الاجتماعية والتي تضم عنصرين هما البطالة واللاستقرار المهني، ثنائية الحب والجنس ثم العادات والتقاليد الذي ينفتح إلى عنصرين هما العادات والطقوس البدائية وثقافة الأعراس، إضافة إلى المكان واللغة حيث تم التركيز فيه على دلالة المكان في "محال" وقضية اللّغة واللّهجات .

أما الفصل الثالث: جاء تحت عنوان الواقع السياسي الديني في مُحال: وتمّ فيه الحديث عن تأثر السياسة بالدين، واتخاذ الأخير كوسيلة لبلوغ المقصد، والتطرق في البداية إلى ثلاثة عناصر تخص المجال السياسي وهي: القضايا السياسية في محال، الشخصيات الممثلة للواقع السياسي، وقد تم الكشف فيهما عن الأنشطة السياسية السائدة في مختلف البلدان إضافة إلى تداخل الأدب والسياسة، وقضية التواطؤ والاستبداد الذي يعد بوابة للتدخل الأجنبي في الشؤون العربية، بالإضافة الى عناصر أخرى تتعلق بالمجال الديني وهي: الدعوة إلى الجهاد، الإحسان إلى الفقراء، التطاول في البنيان، وقضية الزنا والنفاق الديني.

وخاتمة جمعت نتائج البحث التي توصلنا إليها من خلال تحليل ودراسة هذا الموضوع.

- **أسباب اختيار الموضوع:**

من الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع وهي أسباب موضوعية وأخرى ذاتية:

- **أسباب موضوعية :**

يعتني الأدباء بالمواضيع التي تتعلق بالواقع العربي لاهتمام القارئ العربي نفسه بالقضايا التي تمس ماضيه وحاضره ومستقبله، وتعزز من هويته، ويأتي دور الباحث ليتعمق ويكشف عن سياقات تاريخية وسياسية ودينية واجتماعية عبر عناصر سردية تمثل الواقع، ويضع نتائج دراسته في قالب أكاديمي وبأدوات علمية يمكنها أن تكون مرجعا ودليلا للقارئ المستقبلي .

أسباب ذاتية:

جاء اختيارنا لهذا الموضوع لأسباب شخصية، تتلخص في ميلنا لهذا النوع من الروايات ذات الطابع الواقعي، والتي تكشف عن حقيقة الواقع المعاش ونقل صوت لمن لا صوت له "أفراد المجتمع"، كذلك رغبة وفضولا منا لمعرفة

حقيقة ما إذا كان يوسف زيدان قد وفق في تمثيله للواقع كما هو دون تحريف أو تزييف أم أنه كأي مبدع اهتم بالجانب الفني على حساب الواقع المعاش.

ومن الأسباب التي شجعتنا على اختيار رواية "محال" كمدونة كونها من الروايات المشوقة نظرا لأحداثها المتسارعة والتي لا تضع القارئ في دائرة الملل والنفور، وكونها تحمل تاريخ مراحل عديدة من عمر الواقع الإسلامي والعربي خاصة، وغناها بالمواضيع المثيرة للجدل والنقاش.

وقد اعترضتنا جملة من العراقيل أهمها: ضيق الوقت الذي لم يسعفنا للغوص أكثر في هذا الموضوع، وعلى الرغم من ذلك عملنا جاهدتين على تجاوزه ورصد النقاط الأساسية في دراستنا.

ومن الأمور التي ذللت لنا مشقة البحث هي امتلاك الدافع والرغبة اتجاه هذا الموضوع وتوفر المراجع والمعلومات في مختلف وقد منصات الأنترنت دون اللّجوء لقطع مسافات طويلة للبحث عن الكتب وغيرها..

وختامًا، بعد الجهد المبذول، نرجو أننا استطعنا الوصول إلى عمل مقبول، يقدّم للطالب والقارئ معلومات مفيدة، كما أننا مدينتين بالشكر والجميل لكل من مدّ يد العون لنا لاستكمال هذا البحث.

ونخص بجزيل الشكر للأستاذة المشرفة "صوالح وهيبة" لقبولها الإشراف على هذا العمل وحسن تعاملها ونبل أخلاقها معنا، وعلى كل التوجيهات التي قدمتها لنا طوال فترة العمل وحرصها على أن يكون في حُلّة كاملة، كما نتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة على تكبدهم قراءة هذا البحث وقبولهم مناقشته.

الفصل الأول: الواقع التاريخي والتّأريخي في محال

1 . الأحداث والوقائع التاريخية.

2 . الشخصيات التاريخية والتأريخية.

3 . الآثار والمعالم التاريخية.

الواقع التاريخي والتّأريخي في محال:

يعدّ التاريخ هو سجل الأحداث الماضية والحافظ لسيرورة الأمم السالفة والشاهد على مميزات العصور المتعاقبة، ويأخذ دور المرشد في مواقع كثيرة حتى يذكر البشرية بأخطائها ومحاسنها الأولى؛ فيرشد من يريد الرشاد، ويعِظ من يريد أن يتعظ.

يحمل التاريخ أحداثًا وقعت لا يمكن العودة إليها وتعد كحلقة وصل تربط الماضي بالحاضر عن طريق تسجيلها وتأريخها بغض النظر عن قيمة الحدث أو الشخصية والذي يعتبر عملية توثيق للأحداث التاريخية، "إنّ الحدث التاريخي لا يمكن تكراره أبدا، فهو بمجرد أن يقع يكون قد عبر بوابة الحاضر إلى الماضي وأمسى خبرا في سجلات التاريخ، ومن ثم فإنّ العبارة التي تقول التاريخ يعيد نفسه هي في الحقيقة عبارة شاعرية لا تمت إلى الواقع بأي صلة"[1] هنا يتبنى الكاتب موقفًا نقديًا تجاه الفكرة الشائعة عن تكرار التاريخ التي تؤكد على أن الأحداث التاريخية فريدة ولا يمكن أن تتكرر بالشكل نفسه، وقد تكون الأحداث متشابهة لكنها لا يمكن أن تكون هي بكل تفاصيلها.

يعتبر التاريخ "حكاية عن الماضي أو مجموعة من الأحداث والوقائع الإنسانية التي مضت وانتهت لكنها قابلة للتحول والتفسير والتأثير وهي أحداث ووقائع تترك بصماتها وآثارها في الحاضر والمستقبل وتسهم في تشكيل السلوك الإنساني عامة و الفعل الإبداعي ومنه الأدب خاصة"[2] والتاريخ له دور فعّال في دراسة الماضي بكل حذافيره وفهم التاريخ يساعد ويعين على معرفة مراحل تشكل الحضارات وتطورها وهو علم قائم بذاته.ويمكن لأي قارئ أن يرى كيف أن الأحداث التاريخية والتجارب السابقة تلهم الروائي، وتوفر له مادة غنية للتعبير عن أفكاره ومشاعره ممّا يعكس فهمه العميق للتاريخ وتأثيره المستمر على الإنسانية.

---

[1] أحمد محمد كنعان، "بين التاريخ والتأريخ"، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، 14 فيفري 2023. https://www.mominoun.com

[2] عزيز شكري ماضي، في نظرية الأدب، (ط1؛ بيروت: المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر، 2005)، ص145.

تدل" كلمة التاريخ وهي يونانية الأصل على استقصاء الإنسان واقعة إنسانية منقضية سعيا إلى التعرف على أسبابها وآثارها"[1] لذا يسمى الموثق والدارس للأحداث بالمؤرخ. وهنا يمكن أن يطرح السؤال نفسه، ماذا لو كان الروائي مؤرخًا؟

في هذا الصدد يمكن القول إنّ الروائي أحيانا يقوم بدور المؤرخ في تأريخه للأحداث داخل قالب روائي يستدعي أحداثا بالضرورة؛ فالرواية مجالها غير محدّد ما يجعلها نصًا متشبعًا بكل المعارف الإنسانية من فلسفة وفن وتاريخ وعلوم شتى "الرواية إحدى الوسائل التعبيرية الإبداعية المهتمة بالواقع الإنساني بكل مجادلاته وهي محرك للتاريخ وحركة لجريانه وإعادة قراءته ففي اللحظة التي تبدأ فيها كتابة الرواية تبدأ علاقة غير مستقرة مع التاريخ"[2] ضف إلى أنّ " المطّلع على كتب المؤرخين سيلمس تداخلا بين الأدب و التاريخ بداية من ابن إياس كما أنه سيجد المؤرخ يستأنس بقاموس بمفرداته روى، حكى، قال، وغيرها من مفردات تجعل وظيفة المؤرخ الحكي"[3] ما يجعل المؤرخ والأديب في مرتبة واحدة أحيانا إذ أنّ التاريخ يعتبر مصدر إلهام قوي بالنسبة للكتاب فمن خلال التطلع للأحداث التاريخية يمكنه من استوحاء قصص مثيرة ومشوقة تخدم الحاضر "إنّ كتابة التاريخ مغامرة ممتعة ومتعبة لا يتأتّاها من حمِل قلما وتوسد تاريخا وقال أنا لها فبقدر ما تتطلب مادة مهمة موثقة بقدر وصحيحة ومتوازنة بقدر ما هي ملحاحة على تمرس باللغة الجمالية النّافثة إلى جسد التاريخ وإلى إدراك القارئ "[4].

عملت الرواية في مضامينها على استحضار عنصر التاريخ بشخصياته ووقائعه التي ضلت راسخة في الأذهان وشهدتها الأمة في مسارها التاريخي، ويعدّ نزوع بعض الروائيين لتوظيف التاريخ أمرًا فيه نوع من الصعوبة والعسر خصوصا أنه يستحضر تاريخا مضى ليشتغل عليه وفق أرائه ومكتسباته الخاصة.

---

[1] فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ نظرية الرواية والرواية العربية، (ط1؛ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي،2004)، ص81.

[2] رجاء مستور، "الرواية التاريخية العربية بين التوثيق والخيال"، إشراف محمد شنوفي، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله،2016، ص60.

[3] المرجع نفسه، ص57.

[4] المرجع نفسه، ص 258.

يعمد الروائي الاستقاء من مادة التاريخ ويشكلها وفق ما يخدم نصه الروائي بالتالي تكون الرواية "تسجيل تاريخي سلبي أو إيجابي لظواهر اجتماعية تحمل دلالات متنوعة يسجلها الروائي أو يجنح عليها أو يريد إصلاحها أو يحملها رسالة وهدفه الذي يريد للقراء أن ينتبهوا له "[1] بتذكيرهم بأمجادهم الماضية والوصول إلى تحديد هويتهم وتعزيز انتمائهم بترسيخ تاريخ أمتهم المجيد، وفعلا "التاريخ يفتح أبوابه للروائي لكنه يفعل ذلك بمكر كبير إذ بمقدار ما تكون المادة التاريخية متاحة وفي بعض الأحيان مطواعة إلا أنّ الأهمية وبالتالي النتيجة تتوقفان على الطريقة يتعامل بها الروائي مع هذه المادة تماما كخشب الغابات الموجود بكثرة في الطبيعة غير أن معظمه يذهب وقودا، والقليل منه يتحول إلى تماثيل ومنحوتات ليسافر في التاريخ من جيل إلى آخر ويبقى دليلا على عبقرية الإنسان"[2]إذ عليه معرفة كيفية توظيفه بحيث يعكس الفترة التاريخية المراد الإشارة إليها، ورصد مختلف التحولات والأحداث التي وقعت عبر الزمن في تاريخ الشعوب وثقافاتهم، بمعنى آخر التاريخ يساعد الروائي في إنتاج شخصيات وأحداث عميقة وذات معنى، فـ "كل ما في الحياة من اهتمامها، فالنفس والمجتمع والمشاعر والتاريخ والماضي والحاضر من الحياة، والرواية فن كتابة الحياة دون ممنوع، والتاريخ من هاته المعطيات، وهو أرفد الرواية وغذّاها بمادة حكائية لا تنضب"[3]، وهو ما يوضح العلاقة بين هذين الحقلين الأدب والتاريخ؛ فالأول يعكس ويسجل التاريخ والثقافة والمجتمع في فترة زمنية معينة، ويمكن من خلالهما فهم العصور الماضية من خلال الأعمال الأدبية التي تمّ تأليفها في تلك الفترات، أيضا فهم القيم والمعتقدات والتحديات التي واجهت المجتمعات في الماضي، فهو يحمل في طياته تاريخا حافلا وقصصا تستحق الاستكشاف، بالمقابل يمكن للتاريخ أن يؤثر على الأدب ويلهم الكتّاب لكتابة أعمال تعكس تلك الفترة التاريخية، فكلاهما يتعاونان لتسليط الضوء على تجارب البشر وتاريخهم، لذا فإنّ "انتقال هذا التاريخ إلى الأعمال الأدبية والنصوص الأدبية ذات الطابع التّخييلي لا يعني إطلاقا هيمنة

[1] قاسم عبده قاسم، "التاريخ والرواية: تفاضل أم تكامل"، مجلة العربي، العدد 557، الكويت، 2005م، ص54.

[2] عبد الرحمن منيف، رحلة الضوء، (ط1؛ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المركز الثقافي العربي، 2005م)، ص65.

[3] نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، (ط1؛ الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2006م)، ص109.

الموضوعية التاريخية على السياق التخييلي، بل على العكس من ذلك، فالنص الناجح هو ذلك الذي يوظف هذه الموضوعية التاريخية على أساس أنها خلفية للأحداث، تعطي الحدث طعمه و موضوعيته ولا تعطل جماليته الفنية"[1] فربما يكون عبارة عن أوصاف لأشخاص كان لهم وزنًا وتأثيرًا عبر تاريخ أمة من الأمم أو يمكن أن تكون أحداثًا حقيقية شكّلها في قالب سردي؛ فيطلق الكاتب العنان لمخيلته لتكون الدّور البارز فيه.

إنّ الأدب بصفة عامة يحمل على عاتقه قضية التعبير عن المواضيع والقضايا المعاصرة التي تخدم الإنسانية جمعاء لذا أخذت من التاريخ مادة للخيال والإبداع في عالم الأدب، فهذه العلاقة بين الأدب والتاريخ علاقة تكامل وتداخل "تربط الأدب بالتاريخ علاقة وثيقة فهو يستمد مادته من بطون التاريخ وصفا وتدوينا، ولعل ما يميز الأدب عن التاريخ، أنّ الأخير يعتمد الحقائق، أما الأدب فيطرح نفسه باعتباره شكلا فنيا "[2].

يقوم التاريخ بترسيخ الحقائق الماضية، أما الأدب فينتجها في قالب فني يمتزج فيه الخيال والتاريخ، ولعل الشكل الفني الأمثل لضم أكثرية الأحداث التاريخية هي الرواية كما ذُكر آنفا "إنّ الرواية من خلال حواريتها لا يمكن أن تكون إعادة كتابة للتاريخ وإنّما هي أتون ينصهر فيه العنصر التاريخي مع عناصر أخرى تسهم جميعا في بناء الكون التخييلي للرواية"[3] ما يفهم من هذا أن الرواية تعيد صياغة التاريخ بطرق عدة، فتأخذه كمرجع تعتمد عليه في بناء الحبكة الروائية أو تأخذ من الشخصيات التاريخية خلفية لأحداثها المتخيلة، وهو ما يؤكده الباحث أحمد عزيز في كتابه "السرد والتاريخ من التوثيق إلى التخييل" في ما يخص هذه العلاقة الجدلية التي تربط بين التاريخ والأدب إذ يقول "إنّ العلاقة بين الأدب والتاريخ قائمة على قدر كبير من التداخل، فكلاهما يستمد مشروعيته من الواقع حتى

[1] إبراهيم عباس، الرواية المغاربية ـ تشكل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي ـ (ط1، الجزائر: الرائد للكتاب، 2005) ص298

[2] هاشم كاطع لازم،"الأدب والتاريخ"، مجلة المنال،https://almanalmagazile.com، نوفمبر 2017

[3] محمد القاضي، الرواية والتاريخ دراسات في تخييل المرجعي، (ط1، تونس: دار المعرفة للنشر ،2008) ص150

ولو لم يكن موضوعيا وكلاهما له بنيته السردية حتى ولو اختلفت درجة أدبيته ولا يمكن أن يدّعي أحدهما اليقين الكامل دون أن يلفت انتباهنا لقيمة بعينها."[1]

تستّمد الرواية مادتها من دهاليز التاريخ لتوظيف معطياته كبراهين لنسج خيوطها الحكائية، فالكتابة بما يخص الحاضر يستدعي بالضرورة العودة للتاريخ بغية الاستفادة من الوقائع والتجارب السابقة، فمع "ازدياد الوعي بالحاضر، يزداد الاهتمام بالتاريخ بوصفه خلفية الحاضر "تاريخ الحاضر" وتسهم الرواية بوصفها إحدى أدوات تصوير التاريخ الأكثر تفصيلا وصدقا في استجلاء ما حدث في التاريخ"[2] لذا يلجأ الروائي للتاريخ كمادة للسرد محاولا استحضار الماضي وإعادة تشكيله في سبك سردي جديد بغية تثبيته في أذهان القراء وهذا لأجل الحفاظ عليه وتداوله على مرّ الزمان، كما يعمل التاريخ أيضا على توثيق لحظات تطور المجتمعات.

من الأسباب التي تدفع بالروائي إلى اللّجوء إلى الماضي واستحضار التاريخ في أعماله يعود لاعتباره مصدرا غنيا بالقصص والتجارب الإنسانية، كما يمكن أن يكون مليئا بالأحداث المشوقة والشخصيات الفريدة التي تثير اهتمام القارئ، كما يساعد على فهم وتفسير الحاضر، حيث يمكن للروائي استخدام الأحداث التاريخية لتسليط الضوء على القضايا الراهنة والتحولات الاجتماعية، وبالعودة إلى الماضي يفتح آفاقا جديدة للرواية ويساعد في توصيل رسائل وتعاليم مهمة للقراء "إنّ اللجوء إلى الماضي لإنجاز رواية قد ينطلق بادئ ذي بدئ من قيمة تعليمية محددة تكشف لنا التاريخ بطريقة قصصية شائقة، تخلق لدينا وعيا سياسيا و اجتماعيا بماضينا "[3] ليس هذا فحسب، إنّما يعمد إلى تربية الأجيال القادمة "بل يمكن توظيف ذلك كله في بناء المجتمع العربي، بإغناء ثقافة، وتقويم سلوكياته، وتصحيح اعوجاجاته، وتعزيز ملكاته، وتقوية أدبياته ولغته وأساليب كتابات أبنائه، كما يمكننا أيضا تقديم شيء

[1] "العلاقة بين الأدب والتاريخ في كتاب (السرد والتاريخ من التوثيق إلى التخييل)"، النهار العربي، https://www.annaharar.com الإمارات، 11 سبتمبر 2021م.

[2] جورج لوكاش، تر: صالح جواد الكاظم، الرواية التاريخية (ط1، بيروت: منشورات وزارة الثقافة والفنون،1978م)، ص07.

[3] نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، ص135.

للعالم الذي يسمع بما كان للعرب في الماضي من أدوار وتاريخ مأثور"[1] ويكمن هدف الروائي على إعادة بعث الماضي وإحيائه من جديد، يعرض تاريخ أمته والتعريف به، وكذلك "استعادة الذات الضائعة باكتشاف معنى الاستمرار في شيء ما أو الانتماء إلى شيء ما يبدو وقد ضاع إلى الأبد"[2] ويكون هذا بعد الشعور باضمحلال الشخصية الاجتماعية بسبب تبعية الآخر ومن الانشقاقات والتصدعات الداخلية التي عانى ومازال يعاني منها المجتمع العربي ما يدفع بالروائي إلى الالتفات إلى الماضي والتذكير به، من أجل البحث عن الذات، لذلك أراد الكتاب "أن تكون أعمالهم مصابيح هداية في سماء أمتهم العربية، متّخذين من التّاريخ ستارا تنعكس عليه أحداث الأمة وواقعها المرير، وكل ذلك دعوة لانتشال الإنسان العربي من وحل الكوارث العالمية والهزات المحلية التي زعزعت كيانه وهدّته، فالتاريخ إذا كان وسيلة يتخذها الفنان للتعبير عن رؤية معاصرة "[3].

يكتب الروائي التاريخ بشكل مختلف تماما عمّا يكتبه المؤرخ "أي تاريخ المقموعين والمضطهدين والمهمشين، ذلك أن التاريخ المأساوي الذي يسقط في النسيان، وتتبقى منه آثار متفرقة يبحث عنها الروائي طويلا، ويضعها في كتب لا ترحب بها مكتبات الظلام "[4].

إذ أنّ الروائي مساهم فعّال في نقل المعرفة وفي تعميق فهم التاريخ، ومن المعلوم "أن الحقيقة المطلقة ليست موجودة وبالتالي لا يملكها أحد، لكن من جملة صفات التاريخ المكتوب، خاصة الرسمي، أنه يريد أن يكرس حقيقة مطلقة، أن يعمّمها وهنا يأتي الروائي ليقول شيئا مختلفا شيئا اكتشفه بنفسه لم يقله أحد بهذا الشكل قبله وهذا ما يعطي محاولة جدارة أن تبقى وأن نضيف إلى التّاريخ شيئًا جديدًا، الروائي وهو يفعل ذلك لا يعتبر مؤرخّا، بالمعنى

---

[1] سيار الجميل، الرواية التاريخية، ورقة بحثية حول الرواية والتاريخ، مجلة البيان، ع2، جامعة آل البيت، الأردن، ص 30،31.

[2] إبراهيم فتحي، "تطورات أدوات الصياغة الروائية من الواقعية إلى الحداثة"، مجلة فصول، ع61، مصر، 2003م، ص39.

[3] محمد أبوبكر حميد، "هل انتهت مرحلة الرواية التاريخية العربية؟"
www.lahonline.com/literature/critique/455.doc.ctr.htm

[4] فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، ص369.

المتعارف عليه، أو بديلا عن المؤرخ، وإنما يعتبر قارئًا، من نمط خاص، لمرحلة تاريخية، أو لمادة تاريخية، لكن بمنظور خاص وجديد "[1].

ويجب التنويه على أنّ الأديب عامة يمكنه أن يتصرف في التواريخ والأحداث التاريخية بالحذف والزيادة وإعادة الصياغة كليا، فحتّى المؤرخ لا يمكنه أن يحافظ على الوقائع التاريخية بشكل دقيق فيعيد كتابته أحيانا بناء على ما سمعه أو ما فهمه وأحيانا على حسب رؤيته الخاصة للواقعة، وهكذا هو الأديب الذي يكتب ليؤرخ وليمتع وليحلل وليطرح قضايا وما إلى ذلك، وعليه فإنّ "النص التاريخي ليس مقدسا باعتبار إعادة كتابته مرات وقد يروي الحدث الواحد باختلافات عديدة كما أن الكاتب ليس قديسا منزها"[2] ويكشف هذا القول عن قدرة الأديب على التصرف في النصوص التاريخية، فهي ليست قرآنية لإبقائها على ثباتها، ضف إلى ذلك فالتّاريخ يحدث مرة واحدة لكن الروائيون يكتبونه عدة مرات وبأساليب متنوعة.

إنّ الحس القومي دافع رئيسي للجوء الأدباء إلى توظيف التّاريخ في مدوناتهم وذلك لإبراز الهوية الوطنية وتعزيز الانتماء القومي والدفاع عن العقيدة المشتركة، أما اختلاف مواقف الكتاب فهو أمر طبيعي فكل كاتب طريقته في الاستعانة بالتّاريخ لإثبات فكرة أو معلومة وهذا يتوقف على رؤيته وثقافته، وإيديولوجيته، كما أنّ استخدام عنصر التاريخ في الرواية يختلف من منظور لآخر، يقول محمد رياض وتار "تعدّدت مواقف الروائيين من التاريخ واختلفت نظراتهم إليه كما تعددت أشكال إعادته فبعضهم اعتبر التاريخ مجرد مادة للتسلية القراء ... وبعضهم استخدم التاريخ للدفاع عن القومية العربية، فجعل الماضي في خدمة الحاضر، ممّا استوجب النظر إلى التاريخ نظرة تقديس وإجلال "[3] فقد حاز استحضار التاريخ في النصوص السردية على اهتمام الدارسين، لذا جاز للروائي أن يختار طريقته في الأخذ من التاريخ لملأ فراغات نصه كما يمكنه العبث بفنّيات الرواية دون المساس بحقيقة التاريخ.

---

[1] عبد الرحمن منيف، رحلة الضوء، ص66.

[2] رجاء مستور، الرواية العربية التاريخية بين التوثيق والخيال، ص107.

[3] محمد رياض وتار، توظيف التراث العربية، (د.ط؛ دمشق: مكتبة فريق العلم من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2002م) ص35.

إنّ الأدب من هذا المنظور يعتبر شاهدا على التاريخ، ومرآة عاكسة للمجتمعات المتتالية فهو نافذة يطل من خلالها القارئ أو المتعلم إلى أفكار ومعتقدات الآخرين عبر العصور.

1. الأحداث والوقائع التاريخية:

إنّ الواقع التاريخي جزء من الواقع العام الذي تعيشه كل المجتمعات ماضٍ وحاضر فهو مبني على حلقة متسلسلة من الأحداث والتفاصيل التي حدثت في الماضي ومازالت تؤثر على الحاضر، سواء أكان هذا الحدث نتج عنه استمرارية أو أنّ الحدث السابق مشابه لما يعاش في الوقت الراهن، لذا يعتبر الواقع التاريخي مصدرا هاما لفهم تطور الحضارات، ومدى تأثيرها على العالم الحالي وبناء مستقبل أفضل من خلال اتخاذ القرارات الصائبة المستنتجة من تحليل الأحداث السابقة.

يمكن تمثيل الواقع التاريخي في الرواية بعدة طرق منها التأريخ لأحداث هامة ومفصلية وأحدثت منعطفا في الواقع والفكر العربي بشكل سلبي، أو توظيف شخصيات تاريخية معروفة أحدثت تطورا إيجابيا في المجتمعات العربية، والمراد غالبا من تمثيلها وتصويرها أن تكون مثالا للبطولة المزيفة أو البطولة الإيجابية أو للتعريف بها للأجيال المتعاقبة وما إلى ذلك، لذا "فرضت هذه المادة التاريخية المختلفة والمتنوعة على الكاتب أن يبحث عن شكل صوغي تخييلي يجمع كل تلك المواد والوثائق في سرد روائي، يعطي لذلك الزمن التاريخي بعداً فنيا يبعده عن التاريخ الحدثي، ويرتبط به في نفس الوقت بمسافة فنية يخلقها ذلك الصوغ الحكائي والسردي الذي قد يقول، أو يحيل على ما يحيل عليه الحدث التاريخي"[1].

يلجأ الروائي إلى توظيف التواريخ في المتن السردي سواء أكانت حقيقية أم لا، لتوثيق الأحداث الروائية، وقد يكون الهدف منه هو إضفاء تفاصيل دقيقة للرواية، وجعل القارئ على معرفة تامة بمسار تطور الأحداث، وهذا ما

[1] شعيب مقنونيف، "دراسات بين الحدث التاريخي والسرد الروائي أي تقاطعات وأي علاقة ؟؟"، دورية كان التاريخية السنة الحادية عشر، ع42، جامعة تلمسان، الجزائر، ديسمبر 2018م، ص 175.

فعله "يوسف زيدان" في روايته مُحال، إذ يلمس من غاص في صلبها ذلك المزج بين التواريخ الحقيقية تارة والمتخيلة تارة أخرى. فالأحداث الروائية تقع في مكان وزمان معين راصدا أهم الوقائع التاريخية التي حدثت في وقت ما، إنّ "النوع الروائي المصري راح يستوعب حركة الواقع الزاخرة، بقوة متنامية"[1] فزيدان استطاع مجاراة الواقع ضمن روايته. تجدر الإشارة إلى أنّ الوقائع التاريخية قد تتعرض للتغيير والتحريف فتكون غير صحيحة مئة بالمئة، بسبب تناقلها شفهيا أو ضياع أجزاء مكتوبة منها بسبب الحرائق أو الحروب أو الحوادث، إنّ "الوقائع التي وقعت فعلا في التاريخ، هي الأعم على الأغلب غير الوقائع المدونة في كتب التاريخ ولاسيما ما يتعلق بالتاريخ البشري، لأن عملية التّاريخ تنقذ عادة من خلال الوثائق التي تصل إلى المؤرخ الذي لسبب ما في نفسه لا يدونها كما وصلت إليه وإنّما يدونها بالطريقة التي تروق له، فتخرج من بين يديه في حلة جديدة لا يكاد يجمع بينها وبين الأصل إلا العناوين"[2] ولعل هذا ما جعل الروائي زيدان قبل التطرق في ابتداء روايته يستعين بمقولة لابن النفيس يقول فيها "وإنّما الأخبار التي بأيدينا الآن، فإنما نتبع فيها غالب الظن لا العلم المحقق" .

بالرجوع إلى رواية "مُحال" فإنّ زيدان قد تقيّد بالفترة الممتدة من 1991 إلى غاية 2002 وفي أماكن متعددة، ليمثّل الواقع التاريخي لعدة بلدان من خلال ذكر بعض الوقائع التي حدثت، في تواريخ محدّدة تبقى للتاريخ ولإعطاء الرواية نوعا من المصداقية.

-03 أكتوبر 1993:

اتّخذ "زيدان" من هذا التاريخ منعرجا معرفيا في الرواية، وهو تاريخ حقيقي مسجل في كتب التاريخ، وهو إسقاط الصومال لمروحية الصقر الأسود التابعة لأمريكا "نشرت الجرائد يوم الثالث من أكتوبر أن الصوماليين أحاطوا بالأمريكيين وأسقطوا لهم مروحية عسكرية اسمها الصقر الأسود "[3].

---

[1] عبد الله خليفة، "نجيب محفوظ من الرواية التاريخية إلى الرواية الفلسفية"، (ط1؛ بيروت: الدار العربية للعلوم، 2007م) ص24.

[2] أحمد محمد كنعان، "بين التاريخ والتأريخ ".

[3] الرواية، ص86

إنّ ذكر الفترة الزمنية كاملاً أم جزئيًا يكشف عن مدى جرأة الكاتب في إعادة تاريخ هذا الحدث، وهذا نوع من الحفاظ على التاريخ العربي من الزوال، ضف إلى ذلك تذكير الأجيال القادمة بقوة العرب في التصدي للعدوان الأمريكي الأكثر قوة، وتفاخر الشعوب العربية خاصة "الصوماليين" في قدرتهم في زمن ما إسقاط هذه المروحية "الصقر الأسود" وتحسيس الجيش الأمريكي بالهزيمة؛ فزيدان استطاع أن يؤرخ من جديد لهذه المعركة كنوع من إحياء مثل هذه الأحداث المهمة التي وقعت في الماضي إضافة إلى تثقيف القارئ من خلال إدخاله لمثل هذه الوقائع، ليحس أنه لا يقرأ سردا خياليا فحسب، وإنما تزويده بمعلومات تاريخية أيضا.

- **17 نوفمبر 1997**:

تكشف الأحداث عن تاريخ واقعي آخر مثّله زيدان ضمن روايت لترسيخ هذا التاريخ بأسلوبه الخاص من خلال البطل الذي نقل الخبر، بمشاهدته التلفاز "عند غياب شمس يوم الاثنين الموافق لسابع عشر من الشهر الحادي عشر، نوفمبر1997 كان جالسا بملابسه المنزلية على الكنبة العتيقة في صالة البيت، يحدق حسبما اعتاد في شاشة القناة المصرية "الفضائية" ... حين سمعته يشهق مرعوبا لحظة أذيع خبر عاجل عن أمر وقع وليته ما وقع، ملخصه أن مذبحة مروعة جرت صباحا بالأقصر في ساحة معبد الدير البحري، ذبح فيها عشرات السائحين"[1] وحافظ زيدان على تاريخ هذا الهجوم كما هو في الواقع، وراح ضحيته عدد كبير من السيّاح، والملاحظ أن الروائي انتقى هذه التواريخ عمدا حتى يكشف عن بعض التفاصيل برؤيته الخاصة واختار لهذه الأحداث شخصيات قادرة على أداء أدوارها بشكل مماثل للواقع، خاصة البطل الذي كان قريبا من هذه الأحداث المهمة بحكم عمله كمرشد في السياحة، وأثرت عليه سلبا على نفسيته، "كان لهذا الحدث المؤلم أثر بالغ السوء على السياحة في مصر ... وكان الذين سقطوا من السياح 58 وعدد الجرحى 26"[2] والرواية تسجل ما

[1] الرواية، ص130.

[2] ماهر حسن، "زي النهار ده.. مذبحة الدير البحري في الأقصر 17 نوفمبر 1997"، صحيفة المصري اليوم، https://www.almasryalyalyoum.com ، مصر،17 نوفمبر 2019م.

يغفل التاريخ عن ذكره غالبا أو يذكره دون التفصيل فيه كالمشاعر مثلا أو التأثيرات السلبية التي تقع على المجتمع، أو تلك الأحداث التي يراها الروائي قد تزول يوما ما، ويقول محمد عبد الرحمان في مقاله "التاريخ كما صورته روايات يوسف زيدان" من خلال رواياته الرائعة، حاول الروائي يوسف زيدان رسم صورة جديدة لبعض الأحداث والوقائع التاريخية والشخصيات المعروفة في التّاريخ، ونبش في أعماق البحيرة الراكدة عن حقائق لم يكن من المقبول الخوض فيها، ولكن بجرأته المعهودة تناولها داخل نص أدبي بديع "[1] فإن لم تكن روايته تاريخية بالمطلق فسيتخللها عنصر التاريخ لا محالة.

- **11 سبتمبر 2001**:

يحمل هذا الحدث في طياته هجمات دامية غيرت مسار التاريخ، وكانت بمثابة هزة أرضية تهز العالم، وكان "زيدان" السباق لتسجيل هذا الحدث في روايته "مُحال" وليس فقط تسجيله إنما الحديث عنه في أكثر من موضع نظرا لأهميته في التاريخ العربي، وأهمية زعيمها أسامة بن لادن والتي ركز عليها في الرواية ويظهر هذا في قوله:"بمناسبة الخطورة ما رأيك في تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر الماضي "[2] فقد وفّق الروائي "زيدان" في ذكر هذا الحدث الخطير الذي لا يزال يحدث ذعرا أمنيا في العالم رغم الإطاحة بزعيمها؛ فهو "أكبر عمل إرهابي داخل الأراضي الأمريكية، وأسقط أكثر من ثلاثة آلاف قتيل في هجمات متزامنة على برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك بطائرتين تم اختطافهما "[3]، لقد أعطى الروائي مساحة مهمة من روايته لهذا التاريخ، نظراً لأنه واحد من أهم الأحداث التاريخية المؤثرة في العالم، وسليط الضوء على تأثيراته على المجتمعات في تفشي الخوف والرهاب، زيادة على ذلك فهو يمثل تاريخ الإرهاب وهجماتهم ضد أمريكا.

---

[1] محمد عبد الرحمن، "التاريخ كما صورته روايات يوسف زيدان.. بحثا عن الكواليس غير المعروفة للإنسانية"، جريدة اليوم السابع، https://www.youm7.com، 20 أكتوبر، 2020م

[2] الرواية، ص240.

[3] ريم عبد الحميد، "22 عاما على هجمات 11 سبتمبر الإرهابية"، جريدة اليوم السابع، 11 سبتمبر، 2023م.

لا يمكن تجاهل التواريخ الأخرى التي أشار اليها الروائي في مواطن من المقاطع السردية بشكل متسلسل، "في الشهر الأول من العام 1994 كانت الأفواج والرحل حاشدة بأسوان فكان يعمل بلا انقطاع مرشدا أو مندوبا"[1]، "دخلت عليه السنة المشؤومة المشار إليها بالرقم سبعة وتسعين وتسعمائة وألف للميلاد، وسوف يسميها في نفسه لاحقا عام الكوارث"[2] والمتمعن في الرواية سيجد أن المعاناة الحقيقية للبطل بدأت بعد هذا العام، وتبين مقاطع سردية أخرى حرص زيدان في التدقيق في الحدث بإعطائه تاريخ محدّد "في نهاية الشهر الثالث من العام ثمانية وتسعين وتسعمائة وألف، أتى سهيل لزيارته في أم درمان، ببدن مهزول ..."[3].

لم يفوّت "زيدان" الحديث عن تاريخ مصر وذكر أمجادها، فقد تطرق للحديث عن العصر البطلمي وعصر الرعامسة، فيعتبران فترتان تاريخيتان مهمتان ومثيرتان للاهتمام، فالأول كان فترة من فترات تاريخ مصر القديم "نقشت في بدايات العصر البطلمي. يعني قبل الإسلام"[4]. ويقال أن هذه الفترة تأثرت مصر بالثقافة اليونانية نتيجة الغزو اليوناني للبلاد، وتتميز بتطور الفنون والعلوم والأدب لذا فترة البطالمة حكاية تاريخية تعكس ثقافة الشعوب آنذاك ليتيح للقارئ التعرف على العصور القديمة وما تزخر به من آثار "العصر البطلمي شهد تدشين مستوطنات يونانية داخل مصر، لتكون بمثابة مراكز رئيسية للمواطنين الإغريق، الذين حضروا إلى مصر حاملين معهم ثقافتهم وتقاليدهم المختلفة عن الشعب المصري"[5].

---

[1] الرواية، ص107.

[2] الرواية، ص118.

[3] الرواية، ص 132.

[4] الرواية، ص43.

[5] نهى نصر، "معلومات عن العصر البطلمي.. محور أحداث مسلسل يحي وكنوز الحلقة 25"، الوطن https://www.elwatannews.com، 04 أفريل 2024م.

أما عصر الرعامسة له أيضا حضور في الرواية "في اليوم الثالث أخذهم إلى معبد "أبو سمبل "حيث يستعلن عصر الرعامسة ويتأكد المجد المصري القديم"[1] وهي فترة تاريخية في مصر القديمة تميزت بالاستقرار السياسي والاقتصادي والثقافي كما هو شائع، وشهدت هذه المرحلة تطورا في الفنون والعمارة والأدب، وأحد الأمثلة الشهيرة للعمارة في هذا العصر هو معبد الكرنك في الأقصر، والذي له صدى في الرواية "عصر الرعامسة يعتبر من أهم الفترات الفرعونية، حيث أنه يضم الأسرتين لـ 19 والـ 20 الذي ينتمي لفترة الدولة الحديثة بمصر الفرعونية ..."[2] شهد عصر الرعامسة العديد من الفتوحات والبطولات والتطورات وبهذا فزيدان يحيي هذين العصرين الذين يمثلان أمجاد مصر العريقة وتاريخها القديم واستكشاف الثقافة والحضارة المصرية، ما يساهم في إثراء المعرفة والوعي حول هذه الفترة التاريخية، لذا العودة لتوظيف التاريخ ضروري لرؤية هذه المراحل من جديد ومعايشتها بطريقة مغايرة، ورصد تطوراتها مع مر التاريخ "تعليم التّاريخ من خلال أسلوب شائق وجذاب حتى يتغلب على جفاف المادة وجهامة المعلومات التي يقدمها القراء"[3].

إنّ العودة للأحداث الماضية بالنسبة للروائي ما هي إلاّ محاولة لبعث الأمل خاصة أن كانت الأحداث تحمل عبرا تليق بما يحدث أو سيحدث في الحاضر، وكذا "احتضان الفترات التاريخية المشابهة للفترات المعاصرة التي يعيشونها واستدعاء العناصر التراثية التي توقد جمرة الأمل والتوثب في نفوس المعاصرين ... نجاة من واقع مثقل بالإحباط والتشاؤم أو تسوده الهزائم ."[4]

---

[1] الرواية، ص44.

[2] دنيا عبد الخالق، " الرعامسة.. عصر أبناء رع والفتوحات وأقدم معاهدة بالتاريخ"، الوطن ،24 نوفمبر 2018

[3] حلمي محمد القاعود، الرواية التاريخية في أدبنا الحديث، (ط2؛ مصر: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2010م)، ص15.

[4] المرجع نفسه، ص20.

2. الشخصيات التاريخية والتأريخية:

1.2. الشخصيات التاريخية:

الحديث عن الشّخصيات التاريخية يحيل دائما إلى البطولات والزعامة وكل ما هو إيجابي، والشخصيات التاريخية كان لها أثرها الكبير على الواقع المعاش، ولها تأثيرها على مجريات الأحداث في فترات زمنية تخلدت بفضل بطولاتها وانتصاراتها وما حققته من إنجازات عظيمة بقي التاريخ يشهد لها وعليها، وزيدان لم يغفل أهم الشخصيات التي رأى أنها ساهمت في صناعة تاريخ يريده أن ينكشف كما يراه وكما يليق به، ومن هذه الشخصيات:

- **شخصية جمال الدين الأفغاني:**

قام الروائي باستدعاء هذه الشخصية ذات الأثر الكبير على التاريخ الإسلامي والأفغاني، ذلك عندما راح البطل في قراءة الكتاب الشهير المعنون بـ " تنمية البيان في تاريخ الأفغان" رغبة منه في تثقيف نفسه حول تاريخ هذا البلد "الكتاب قديم منشور قبل مائة عام بالتمام والكمال، في السنة الأولى من القرن العشرين عنوانه تنمية البيان في تاريخ الأفغان مؤلفه المشهور جمال الدين الأفغاني"[1] وفيه يتناول الكاتب تاريخ أفغانستان من العصور القديمة مسلطا الضوء على الثقافة والسياسة والتاريخ العسكري للبلاد، إنّه يعتبر مرجعا هاما لفهم التطورات الأفغانية على مر العصور، وفيه يقدم رؤية شاملة للتحولات والتغيرات التي شهدتها البلاد " قلب الصفحات متعجلا الوصول إلى نهاية الكتاب، فوجد المؤلف يختمه بأن البلاد الأفغانية مختلفة المناخ لاختلاف أرضها بين الوهاد والجبال، وليس في مدنها بيوت جميلة إلا مدينة كابل ، لكن العمائر التي كانت بها و بقندهار، دمرتها الحروب الدائمة كان ذلك قبل قرن من الزمان "[2].

[1] الرواية، ص202.

[2] الرواية، ص، نفسها.

إذ كان جمال الدين الأفغاني مولعا بالعلم حيث عمل في الصحافة والسياسة وأطلق عليه لقب رجل الشرق الحكيم كما لقبه البعض بالسيد، حيث "أثبتت الوثائق أنّه حصل على تعليمه في منطقة بحر قزوين، وطهرا، ثم انتقل إلى كربلاء والنجف ويروي بعض طلابه أنه تلقى تعليمه الديني في أفغانستان، وقد أفضى حياته في التنقل بين عدة دول مثل الهند وأفغانستان ومصر وباريس ولندن "[1] ضف إلى دوره الكبير في تطور الفكر الإسلامي كمواكبة التحولات الاجتماعية والثقافية والتصدي للاستعمار الأوروبي، حيث "تبنى جمال الدين الأفغاني مجموعة من الأفكار التي طرحها ودافع عنها ومن هذه الأفكار إيمانه بأن العلم أهميته كبيرة في تحقيق نهضة الدول الإسلامية و الصعود بها من الضعف إلى القمة ،للوصول بها إلى مستوى الأمم المتقدمة ليصبح ذا شأن عظيم"[2] وبالتالي لا يمكن إنكار دوره الفعّال من خلال رؤاه الفكرية، ودعوته إلى تطوير التعليم والتنمية الاقتصادية لتعزيز قوة الأمة، والوعي السياسي والقومي في أفغانستان والعالم الإسلامي، هذه الأفكار تعد من أبرز إسهاماته في التاريخ.

في سياق آخر أشارا لروائي يوسف زيدان إلى قضية تمجيد المرأة وتقديسها بشكل خاص لدى المصريين القدامى عبر تلميحه لبعض الشخصيات، "استغربت نورا أن إحدى الملكات القديمات قدرت بناء معبد هائل كهذا بالحفر في قلب الجبال مقال لها إن نساء ذاك الزمن البعيد ، ملكات وغير ملكات كن قادرات على ذلك وعلى غيره الكثير لأن مصر كانت قديما تحترم المرأة وتقدس النساء باعتبارها من صورة الآلهة الكبرى إيزيس رمز الأنوثة والأمومة"[3] ففي المجتمع المصري كان للمرأة دور مهم وتحظى بتقدير واحترام كبير من قبل المجتمع وكانت تشغل مناصب الكاهنات في المعابد وتملك النفوذ والسلطة وتتمتع بحقوق ومكانة مرموقة. ما دفع "زيدان" بتمثّيله بشخصية كليوباترا "بل معبد جميل أقامته كليوباترا وجعلته باسم ابنها قيصرون يعني قيصر الصغير ... "[4] هذه

[1] كوثر الحديد، " نبذة عن جمال الدين الأفغاني"،https://mawdoo3.com ، 2 يونيو 2023م.

[2] المرجع نفسه.

[3] الرواية، ص62.

[4] الرواية، ص93.

الأخيرة معروف عنها القوة والذكاء وكانت ملكة مصر في فترة ما وقادت البلد ببراعة وشاركت في العديد من الحروب وقد تم تصويرها في العديد من الأفلام والكتب.

في مشهد آخر يؤكد زيدان مدى عظمة النساء "هذه المرأة النحاسية مجنحة الذراعين الجالسة تحته تمثل مصر سألها عن سر تصوير المصريين لبلادهم دوما على هيئة امرأة "[1] وهنا يفهم دور المرأة في تاريخ مصر كونها أحد أهم العناصر التي تتحكم في البلاد وتصدر القرارات.

إنّ مسألة استدعاء الشخصيات التي خلّدها التاريخ في الأعمال الروائية تختلف من روائي لآخر على حسب توظيفها إذ "لاحظ عدد من الدارسين والنقاد أن هذا العنصر يتجلى من خلال ثلاثة مستويات، الأول مستوى الاسم أي الإشارة إلى أسماء شخصيات تاريخية ملوك خلفاء حكام والمستوى الثاني يتم بواسطة استدعاء أقوال الشخصيات التاريخية وهي الطريقة الأكثر انتشاراً في الأعمال الروائية كأن يعيد السارد أقوال الشخصيات التاريخية بشكل حرفي أو تتداخل مع كلام السارد بشكل غير مباشر والمستوى الثالث هو الاستدعاء بالفعل أي استحضار الشخصية التاريخية من خلال أفعالها"[2] وفعلا هذا ما تجسد في رواية مُحال أين عمد الكاتب ذكر أسماء الشخصيات كاملة ومباشرة من دون تلميح أو تشفير لها، كما أنه جعل من حوارات الشخصيات تتداخل والشخصيات المتخيلة بالإضافة إلى ذكر أدوارها الهامة أو الأفعال التي أثرت على التّاريخ سواء بشكل مباشر أم غير مباشر.

2.2. الشخصيات التأريخية:

تعدّ الشخصية أحد أهم العناصر التي تنبني عليها الرواية ويستعين بها الروائي في تحريك الأحداث، وفي رواية محال يمثل زيدان بعض الشخصيات البارزة في الواقع حسب رؤيته وأفكاره وهدفه من توظيفها.

---

[1] الرواية، ص93.

[2] نورة بعيو، "أشكال وتقنيات توظيف المادة التاريخية في الرواية العربية المعاصرة "، مجلة الخطاب، ع 9، جامعة تيزي وزو، الجزائر، جوان 2011م، ص47.

وهنا يأتي الحديث عن الشخصية التأريخية وتوظيفها في النص الروائي، حيث ينتقي الكاتب من الشخصيات تلك التي اشتهرت في فترات زمنية وكان لها وقعها الخاص في المجتمع، وفي محاولة منه لإماطة اللثام عن بعض التفاصيل التي ينأى بعض الأدباء التحدث فيها أو عنها لحساسية مواقفها، وفضلوا إسدال الستار عليها، غير أن زيدان رفع هذا الستار وأماط اللثام وفضل أن يمثلها في روايته محال على الرغم من كثرة الجدال حولها، وهذا يرجع لإيمانه بأنّ مهمة الكاتب تقتضي منه الجرأة والتفسير والتحليل في قالب إبداعي، ولعل مؤلفاته الكثيرة تشهد له بذلك، وتجاوز في محال الواقع إلى إعادة صياغته وفق ما يتوافق وإيديولوجيته التي تعكس القيم التي يؤمن بها والأهداف التي يريد الوصول إليها، "لأن التاريخ معطى موضوعي في الماضي قائم هناك ولكنه معطى متغير، إنّنا في كل عصر نفهم الماضي فهما جديدا من خلال التعبيرات الباقية لنا ويكون فهمنا للماضي أفضل كلما توافرت شروط موضوعية في الحاضر شبيهة بما كان في الماضي"[1].

تطرق "زيدان" في رواية مُحال إلى مجموعة من أهم الشخصيات التي كان لها أثرا بالغا في التاريخ العربي والإسلامي من الناحية التأريخية ومن بينها:

- **شخصية تيمور لنك:**

كما سبق الذكر عن إشارة زيدان إلى التاريخ الأفغاني وإلى شخصياته البارزة، تناول أيضا الحديث عن الأمير تيمور أثناء تواجد البطل في منطقة سمرقند في أوزبكستان، حيث كان حاكم ومحارب من أصول مغولية، ومعروف بتأسيس إمبراطورية تيموريان في آسيا الوسطى، وقاد حملات عسكرية واسعة النطاق، و"أصبح أول حاكم من السلالة التيمورية كونه قائد لم يُهزم، يعتبر على نطاق واسع أحد أعظم القادة المعسكرين والتكتيكيين في التاريخ"[2] وهو ما أكده زيدان في ثنايا سرده حول جبروت هذه الشخصية " هذا الرجل الذي ملأ العالم ترويعا وهولا، وكان

[1] مصطفى المويقن، تشكل المكونات الروائية، (د.ط، دمشق: دار الحوار للنشر والتوزيع ،2016)، ص112

[2] محمد عبد الرحمن، "ذكرى ميلاده الـ 617.. المغولي تيمور لنك الذي قتل مليون شخص"، جريدة اليوم السابع، مصر ،19فيفري 2022م.

بعد حروبه ومجازره يأمر عساكره فيضعون له من جماجم المهزومين أهراما عالية تضم آلافا كثيرة من رؤوس أعدائه المقتولين"[1] إذ معروف عليه أنه يعذب ضحاياه بأبشع الطرق والوسائل، ويقول المؤرخون أنّ "من جرائمه ما حدث في إقليم خراسان، واستمات أهلها في الدفاع عن مدينتهم ولكن في نهاية الأمر استولى تيمور على المدينة، وأمر برفع الراية السوداء ومعناها الأمر بالقتل العام الذي استمر حتى الغروب فكان عدد القتلى 90 ألف قتيل، وأجبر الباقين على قيد الحياة من الأهالي بفصل رؤوس القتلى عن أجسادهم وأمر المعماريين والمهندسين في جيشه بأن يبنوا برجين من هذه الرؤوس"[2] فكان هدفه جراء انتهاجه هذه السياسة، إثارة الرعب في نفوس خصومه وتوسيع نفوذه وإقامة إمبراطوريته في المنطقة، وإعادة أمجاد الدولة المغولية مجددا، مهما كلّفه الأمر الطريقة.

تعمد "زيدان" إلقاء الضوء على هذه الشخصية التاريخية لإبراز تاريخ الأقوام الأخرى غير تاريخ أمته.

- **شخصية أسامة بن لادن:**

اتخذ الروائي "زيدان" شخصية أسامة بن لادن كخلفية للأحداث، وجعلها نقطة تحول في مسار البطل، وهو يعدّ من أبرز الشخصيات التي شهدها التّاريخ بسبب دوره في تنظيم القاعدة، ونشاطه في العديد من الأحداث والتفجيرات، بالأخص هجمات 11 سبتمبر التي أثرت على العالم والتي قام بها على الولايات المتحدة الأمريكية؛ فقد أحدثت هولا وفزعا كبيرا، وتسببت في تغييرات كبيرة في السياسة الدولية والأمن العالمي.

جعل الروائي من هذه الشخصية محور تطور أحداث الرواية خاصة على حياة البطل الذي انقلبت حياته رأسا على عقب بعد لقائه مع أسامة بن لادن، وهذا يتضح من خلال مرحلتين زمنيتين، الأولى قبل أن يتعرف عليه، والثانية بعد لقائه به، إذ كانت حياته في البداية بسيطة خالية من المشاكل، وكان همّه الوحيد أن ينهي دراسته وينال شهادته الجامعية في علم الاجتماع وأن يتزوج من فتاة نوبية ويكوّن معها أسرة في جو يسوده الاستقرار

[1] الرواية، ص178.

[2] محمد عبد الرحمن،" ذكرى ميلاده ال 617.. المغولي تيمور لنك الذي قتل مليون شخص".

والأمان، ولكن هذا لم يتحقق له بعد زيارته لأسامة بن لادن في بيته بالخرطوم، والذي كان اللقاء الأول "دعته أمه إلى الذهاب برفقة أبيه لمقابلة المقاول السعودي، لعلّه يجد عنده عملا بعد التخرج بدلا من غربته التي تكوي قلبها ،كلما سافر إلى أسوان "[1] ومنذ هذا اللقاء وهو واقع في المآزق واحداً تلو الآخر، إذ طرد من العمل في مصر دون سبب واضح ، حتى أنه لم يفلح في أن يستقر في منصب واحد رغم سعيه وراء ذلك، من خلال رحلاته عبر بلدان متعدّدة حتى انتهى به المطاف كسجين في قندهار، ليتوضح أن شخصية بن لادن هي من كانت وراء معاناته وسببا في اعتقاله، وهو ما يظهر في الحوار الذي دار بين البطل والمحقق أثناء استجوابه "صدمه المحقق بسؤال مباشر هل قابلت أسامة بن لادن من قبل ؟ فردّ من فوره بالنفي ... سكت المحقق وأشار إلى جارته الصامتة، فأخذت تحرك أصابعها من دون أن ترفع وجهها عن شاشة الجهاز ... نظر إليه المحقق مبتسما كمن يوشك على إلقاء قول ثقيل وأرسل إليه بالجهاز وعلى شاشته صورة قديمة التقطوها يوم اصطحب أباه لتسليم الخراف أمام المنزل الذي كان أمامه بحي الرياض بالخرطوم ... قال المحقق:

هل يمكنك الآن الإنكار؟ "[2]، ما يعكس تأثيره السلبي على حياة شخصية البطل، وكان سببا وراء كل المآسي التي عاشها حتى لحظة اعتقاله.

- **شخصية الملا عمر:**

هذه الشخصية أيضا جعلها الروائي تشارك في أحداث الرواية بسبب تأثيرها على التّاريخ الأفغاني والذي جاء من عدة عوامل سواء داخلية أم خارجية، ومشاركتها في الصراعات الداخلية والحروب التي شهدتها البلاد بما في ذلك الصراعات القبلية والعرقية والدينية، كما أثّرت العوامل الخارجية مثل التدخلات الأجنبية والصراعات الجيوسياسية في المنطقة على التّاريخ الأفغاني، لاسيما بعد ظهور حركة طالبان التي زادت من حدة هذه النزاعات، والذي يعدّ

[1] الرواية، ص50.

[2] الرواية، ص241.

الملا عمر أحد زعمائها، والذي كان يرغب في السيطرة على المنطقة "إن قندهار آمنة نسبيا لأن الملا محمد عمر يسكنها، ويسيطر عليها مقاتلو طالبان الذين يأتمرون بما يقول، فلا يتهاونون فيه ولا يقصرون "[1] وهذه السيطرة جاءت لفرض نظام إسلامي متشدّد والتحكم في البلاد بالقوة والسلاح، ما زاد من إشعال الصراعات الدولية والإقليمية بعد قيامه بتطبيق نظام صارم ينتهك حقوق الإنسان ويقيد الحريات الشخصية، وأيضا تمّ تدمير العديد من المواقع التاريخية والثقافية، بما في ذلك تماثيل بوذا في باميان "عزم زعيم حركة طالبان الأفغانية الملا عمر تدمير تمثالين هائلين بمنطقة باميان الواقعة تحت سلطته، لأنها يصوران بوذا المقدس عند غير المسلمين" [2] بعد هذه الحادثة والتي تعتبر الأولى من نوعها في تاريخ أفغانستان، وتأثر اقتصادها وتنميتها سلبا، كما تسببوا في نزوح ومعاناة الكثير من السكان، بحيث امتد تأثيرها أيضا إلى المهاجرين واللاجئين، إذ هاجر الكثير من الأشخاص من أفغانستان إلى دول أخرى بحثا عن الأمان والحياة الأفضل .

إنّ شخصية الملاعمر قد شكلت منعرجا حاسما في تاريخ الأفغان وفي زعزعة أمن البلاد وكأن "زيدان" جاء ليعرف بمثل هذه الشخصيات التي كانت في يوم من الأيام، رمزاً للتمرد والتعصب الوحشي، التي أضيفت إلى سجل التاريخ الأفغاني.

3. الآثار والمعالم التاريخية:

تعتبر الآثار التاريخية تلك المواقع والمعالم، التي تعود إلى فترات زمنية سابقة، تحمل عادة قيمة تاريخية كبيرة، فتشمل القصور، القلاع والمعابد والمدن القديمة والمواقع الأثرية الأخرى. وتعكس هذه المعالم تراثا ثقافيا غنيا يخص منطقة معينة "يشير مصطلح الآثار إلى كل ما يعود إلى العصور والعهود القديمة، التي تعاقبت على منطقة معينة من

[1] الرواية، ص209.

[2] الرواية، ص 196.

الأرض ومن هنا فإن الآثار تنتشر في مختلف بقاع المعمورة، غير أنها تتفاوت في كمياتها من منطقة إلى أخرى تبعا لتفاوت حجم وعدد الحضارات التي تعاقبت على بقاع الأرض المختلفة "[1].

إنّ المنطقة التي تزخر بمعالم متعددة، تدل على أنها دولة ذات تاريخ مديد، وغالبا ما تكون غنية من حيث الموارد الطبيعية، فـ" الدولة التي تتوافر فيها كميات كبيرة من المعالم الأثرية، تعتبر دولة حضارية ذات تاريخ عريق، مما يدلّ على أن هذه الدولة لطالما محط أنظار الأمم الغابرة، نظرا لما تحتويه من كنوز، وموارد طبيعية لا تقدر بثمن، أو بسبب موقعها الاستراتيجي في بقعة حساسة من الأرض، أو ربما بسبب قربها على مناطق أخرى أكثر أهمية "[2].

يعرض الروائي الآثار التاريخية في روايته لأسباب عدة منها إثراء الخلفية التاريخية للرواية، وإعطاء القارئ فهما أفضل للزمان، وللمكان الذي تدور فيه الأحداث، بمعنى أنّ التطرق إلى المعالم التاريخية التي تخص منطقة ما هو تعريف القارئ بما يزخر به ذلك المكان، إضافة إلى ذلك فكل معلم أو أثر تاريخي فإنه يعود لفترة زمنية معينة، وسبب آخر يكمن في استخدام الآثار كرموز إيحائية، توحي إلى معان عميقة في الرواية، والأهم من ذلك فالكاتب ينقل القارئ عبر الزمن، ويجعله يعيش تجربة تاريخية لا مثيل لها، يقول ابن خلدون في مقدمته "حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل التوحش والتآنس والعصبيان وأصناف التقلبات للبشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش، والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعة من الأحوال "[3].

يستحضر "يوسف زيدان" في العديد من المحطات السردية آثارا ومعالم تاريخية تخص منطقة معينة، بطرق فنية متعدّدة، والأهم من ذلك أنه وفق في تضمينها وذكرها عن طريق شخصية البطل المتنقلة من مكان لآخر، مستكشفا تارة عنها ومسائلا تارة أخرى، ولعل الغرض من ذلك هو تمجيد الدولة التي يعود إليها ذلك المعلم

---

[1] محمود مرواز، "بحث عن الآثار" ، https://mawdoo3.com، 26 أكتوبر 2018.

[2] المرجع السابق.

[3] ابن خلدون، المقدمة، (ط1؛ القاهرة: دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع، 2010م)، ص29.

التاريخي، ليعرف القارئ بحضارات الدول المختلفة، ومن أمثلة ذلك في "مُحال" تمثال رمسيس الثاني، معبد أبو سمبل، معبد كلابشه، مكتبة الإسكندرية، وغيرها من الآثار ...

- **تمثال رمسيس الثاني:**

يعدّ هذا التمثال من أهم التماثيل المصرية، لأنه يعود لأحد أعظم الفراعنة في التّاريخ المصري القديم، ويقع في معبد أبو سمبل في مصر، يعد من أبرز وأعرق المعالم التاريخية في العالم أجمع، لذلك فهو يجذب العديد من السياح للتعرف على ثقافة وتاريخ مصر القديمة "إنّ رمسيس الثاني هو العامل المشترك الأكبر في كل الاكتشافات عن آثار مصر القديمة ، فهو الملك الذي يربط الماضي والحاضر"[1] و"تمثال رمسيس الثاني هو الأكثر شهرة عالميا ويبلغ عمر التمثال 3200 عام "[2]، ويقال أن هذا التمثال يعتبر رمزا للقوة والسلطة، التي يتمتع بها صاحبها رمسيس الثاني، ويدل الحديث عنه في الرواية على رمزية الحكم وعظمة الفراعنة في مصر، و"زيدان" أضفى بهذا الاستحضار ل تمثال رمسيس الثاني عمقا وواقعية للرواية، لهذا فالكثير يزور هذا التمثال لالتقاط صورا معه للذكرى، وهذا ما يظهر في سطور الرواية" لكنها سألته في يومها الثالث، بعد أن التقطت صورة له بجوار رمسيس الثاني"[3].

- **معبد أبو سمبل:**

تابع "زيدان" تقديم بعض المعابد المصرية التاريخية في قالب روائي، من بينها معبد "أبو سمبل" وهذا راجع إلى أن أكثر الأحداث وقعت في مصر، فمن الطبيعي ضم هذه المعابد والآثار في روايته، ليتماشى واقعيا ومهنة البطل في السياحة والتي عرف من خلالها على معظم هذه الآثار.

إنّ معبد "أبو سمبل" هو معبد تاريخي يقع في مصر ويضم عدة تماثيل من بينها تمثال رمسيس الثاني الذي سبق ذكره، ويستقطب العديد من الزوار "اتصل به الخال حمدون ليخبره، بل ليأمره، بالاستعداد للخروج في الصباح

---

[1] عبد الرحمن حبيب، "خبير آثار: رمسيس الثاني سيظل علامة بارزة في تاريخ مصر القديم"، جريدة اليوم السابع،07 مارس 2024م.

[2] المرجع السابق.

[3] الرواية، ص17

التالي بصحبة سائح وحيد كبير السن إلى معبد "أبو سمبل"[1] بجنوب أسوان. وهو موعد اللحظة المدهشة التي يخترق فيها الشعاع الأول بهو المعبد البديع، ثم يقع في نهايته على تمثال رمسيس الثاني فيشرق في الظلام المحبط وجه الملك والآلهة الجانبين بجانبه. المشهد يتكرر كل عام مرتين لكنه يظل دوما مدهشا ومثيرا " فزيدان حرص كل الحرص على الحديث عن جمال هذا المعبد خاصة في هذه اللحظات التي تشرق الشمس على وجه رمسيس، "يعد معبد أبو سمبل بمحافظة أسوان واحدا من أشهر المعابد الأثرية في مصر، حيث ترجع أهمية معبد أبو سمبل الكبير إلى ارتباطه بظاهرة تعامد الشمس على وجه تمثال الفرعون رمسيس الثاني مرتين في السنة ... ويمتاز المعبد بتصميم معماري فريد، حيث نقرت واجهته في الصخور وزينت بأربعة تماثيل ضخمة للملك رمسيس الثاني"[2] هذا ما يعكس الفن والهندسة المعمارية والابتكار التي كانت يتمتع بها المصريون القدماء.

المثير للانتباه هو التماس ذلك التحول الذي أصاب مصر "كيف خابت مصر وتدهورت بعدما بلغت تلك الدرجات العلا؟" [3] وكأنّه يسترجع أمجاد مصر القديمة ويقوم بمقارنة الماضي بالحاضر الذي يعمه الفساد والتدهور في مختلف المجالات، إلا أنّ هذا النوع من الأسئلة لا يوجد لها إجابات، فالواقع يفرضا شيئا آخر غير المجد والرقي "كثيرا ما سمع هذه الأسئلة، لكنه لم يجد عنده يوما إجابة"[4].

- **معبد كلابشه:**

يبدو جلياً أهمية هذا المعبد عند زيدان مادام أنه أعطاه أولوية الظهور في روايته وجعله عنوان فصلها الأول، وسُمي بمعبد كلابشه نسبة إلى قرية قديمة في منطقة النوبة "أشار إلى أن المعبد، يسمى باسم القرية القديمة النوبية "كلابشه"، التي كانت تبعد عن هنا خمسين كيلومترا، لكنها صارت اليوم تحت البحيرة ولإنقاذها نقلوا المعبد عام

[1] الرواية، ص18

[2] ريم الششاوي، " معبد أبو سمبل.. هكذا يبهر العالم بظاهرة تتكرر مرتين كل عام" https://www.alarabiya.net 22 أكتوبر 2020م.

[3] الرواية، ص18.

[4] الرواية، ص ، نفسها.

1975 إلى هذه الجزيرة خشية الغرق "[1] فهذا المعبد من بين الآثار التي نقلوها خشية الغرق من مياه النيل بعد بناء السد العالي. إنّ القارئ الحقيقي هو الذي يعود للتاريخ لمعرفة قصص هذه التماثيل وأصحابها، التي تشكل تاريخ مصر بأكمله، ولعلّ هذا هو هدف "زيدان" من إقحامه لعنصر التّاريخ في "مُحال" وهذه الآثار جزء من التّاريخ.

- **مكتبة الإسكندرية:**

معلم آخر تاريخي تحدث عنه "زيدان" في "مُحال" باعتباره إحدى أشهر المكتبات في العالم وتقع تحديدا في مدينة الإسكندرية في مصر" هذه الأرض قامت عليها قديما "مكتبة الإسكندرية" التي اندثرت وسوف يعاد بناؤها في الموضع ذاته من جديد" [2] ويقال أنها أحرقت بعد أن كانت " إطلالة فكرية أضاءت طريق المعرفة، وأنارت مناهج البحث وفتحت مغاليق العقل وظلت مركزا من أهم مراكز الفكر الإنساني لعدة قرون ... ولذا فإن مكتبة الإسكندرية القديمة لم تكن مكتبة عادية كسائر المكتبات الضخمة، عبارة عن خزانة كتب بمئات الألوف من المصنفات، ولكنها كانت تجمع في المقام الأول علماء ومفكرين وأدباء، في مختلف التخصصات فالكتب التي كانت مكتظة بها، كانت لأولئك العباقرة الأفذاذ"[3] فهي تمثل الأثر العلمي والتاريخي الذي كانت مصر تتربع على عرشه، ومرجعا مهما للثقافة والمعرف لاحتوائها على مجموعة هائلة من الكتب والمخطوطات، لذا اعتبرها الكثير من ضمن أعظم المعالم التاريخية في العالم ورمز للتراث الثقافي والتعليم في مصر.

لم يكتف "زيدان" بعرض التّاريخ المصري القديم ووصف أهم المعالم والآثار في الحضارة المصرية، بل تطرق لمثلها في أوزبكستان بذكر أشهر المدن العريقة والمعروفة بإرثها الزاخر بمختلف العلوم والمعارف، هذا بعد زيارة البطل إلى هذه

[1] الرواية، ص40.

[2] الرواية، ص94.

[3] حسين دقيل، "مكتبة الإسكندرية القديمة .. بين النشأة والتدمير"، https://www.aljazeera.net 28ماي 2018

المناطق واكتشافها "..قرأ في الكتيب أن المدن الأوزبكية كلها عريقة ، يعود إنشاؤها إلى زمن سحيق سجل في التاريخ أسماؤها الخالدة: طشقند، سمرقند، ترمذ، خيوة، بخارى، فرغانة "[1].

تعمد زيدان أن يقوم البطل في محال بجولة في كل من مدينة طشقند، سمرقند وأيضا بخارى كونهما من أكبر المدن وأشهرها بالمعالم والأحداث التاريخية وبالتنوع الثقافي، ومن بين أهم المعالم التي حرص على الحديث عنها ومثّل بها تاريخ هذا البلد وحضارته العريقة، وهي:

- **تمثال الأمير تيمور:**

الذي" يقع في وسط مدينة طشقند، سُمي باسم أمير تيمور، القائد والمؤسس للإمبراطورية التيمورية، تمّ تأسيسه بأمر من تشيرنيانيف في عام 1882م، هي مساحة يتوسطها تمثال الأمير تيمور وهو يمتطي حصانا، يحيط بتمثال أمير تيمور العديد من الحدائق والمساحات الخضراء، ومجموعة من المباني الفخمة على الطراز الحديث التي يفضل السياح مشاهدتها"[2]، أشار إليه "زيدان" حين راح من خلال رحلة البطل لاستكشاف مدينة طشقند" مارا على حديقة فسيحة يتوسطها تمثال نحاسي هائل الارتفاع، ويصور رجلا فوق حصان، قال عليشير إنه أمير تيمور واضطرب حين رد عليه قائلا: آه تيمور لنك .. حذره عليشير من قول ذلك، لأنّ كلمة لنك تعني الأعرج، وهو وصف صحيح للإمبراطور القديم ،"[3] لكن سكان الأوزبك يمتنعون عن ترديده بهذا اللقب نظرا لولائهم لهذه الشخصية وباعتبار أن هذا التمثال الرمز فخر للوطن ولتاريخهم العريق.

أعطى "زيدان" مساحة مهمة لوصف هذه المدينة الغنية ثقافتها "في طريق الحديقة شارع مفتوح عليها، على جانبيه باعة يفترشون الأرض وحولهم بضائع قديمة متنوعة، تماثيل خزفية ملونة، لوحات زيتية لرجال ونساء يلبسون الحرير،

---

[1] الرواية، ص161.

[2] عبد العزيز العويد، "ميدان أمير تيمور"، المواقع التاريخية والسياحية في العالم، https://aathaar.net

[3] الرواية، ص160.

أطباق من الخزف المزخرف مفارش منقوشة"[1]، إذ تعد مركزا ثقافيا وتاريخيا هاما، وتحتوي على العديد من المعالم السياحية والمباني التاريخية الجميلة التي تستهوي الزوار.

- **قبر بيبي خاتون:**

وهو موقع تاريخي مهم في سمرقند، وبيبي خاتون كانت زوجة الأمير تيمور، وزيدان استغل فرصة تواجد البطل في مدينة سمرقند لتصوير هذا القبر "الأعجب في سمرقند والأبدع من بقايا المساجد والقصور المليئة بالزخارف، هو قبر بيبي خاتون زوجة تيمور ليس لأنّ قبة القبر العالية وحوائطه مفعمة بالتزيين والزخرف ، ولكن لأنه سأل عليشير عن قبر زوجها الإمبراطور وهو يعتقد أنه سيكون بالضرورة أكبر حجما وأبهى رونقا من مقام الزوجة "[2] حيث يعدّ من أكثر المساجد زخرفة عمرانه وهو "مسجد تاريخي يقع شرق ميدان ريجستان ويعد أشهر معالم سمرقند في أوزبكستان ويُلقب بجوهرة سمرقند، بني المسجد في 1399 ميلادي وانتهت أعمال بناؤه في 1403 ميلادي وسّمي على اسم زوجة تيمور لنك ويبلغ طوله 167 م وعرضه 109 م ويبلغ ارتفاع قبته 40 م بلونها الفيروزي والتي كانت تعتبر أكبر قبة في العالم الإسلامي" [3] وبالتالي تمثل سمرقند موقعا مهما لامتلاكها أشهر المعالم الأثرية في العالم، "وقد منحت اليونسكو مكانة التراث العالمي لمواقع مختلفة في أوزبكستان بما في ذلك سمرقند، المدينة التي تسمى (مفترق طرق الثقافات) " [4].

- **مقام الإمام البخاري:**

ويمثل مكانا مقدسا عند المسلمين ويأتون إليه من جميع أنحاء العالم لزيارته والصلاة فيه وتأمل تراثه العظيم، ويقع قرب مدينة سمرقند، "أخذه عليشير بالسيارة مبكرا إلى مكان يبعد عن سمرقند نصف ساعة، وأخبره في الطريق

---

[1] الرواية، ص165.

[2] الرواية، ص178.

[3] عبد الرحمن حبيب، " تعرف على تاريخ مسجد بيبي خانم في سمرقند ..يحمل اسم زوجة تيمور لنك "، جريدة اليوم السابع، 15 يناير 2022م.

[4] المرجع نفسه.

أنهما ذاهبان لزيارة مقام الإمام البخاري الذي ظل ضريحه مجهولا بعد وفاته لمئات السنين، حتى كشف عنه قبل سنوات رجل صالح من السعودية، جاء من أقصى البلاد يسعى ويفتش عن القبر ،حتى اهتدى إليه ودعا الناس لإقامة مشهد هنا، يليق بالإمام "[1]، ويعتبر ضريح الإمام البخاري من أهم معالم سمرقند وهو "عبارة عن بناء بسيط طابعه إسلامي تعلوه قبة محززة، ظلّ القبر على هذا الوضع حتى القرن السادس عشر، عندما بُني على قبره مسجدا ومزارا صغيرا تحيط به الأشجار، ولكن مع السنين بدأ المسجد والمزار في التداعي فقامت الحكومة في سمرقند بالتعاون مع ملك المملكة العربية السعودية بإنشاء نصب تذكاري كبير يضم الضريح ومسجد له قبة كبيرة يتسع للآلاف المصلين ليكون مجمعا ضخما لدراسة علم الحديث، وقد تمّ بناءه على الطراز الأوزبي القديم وتمّ تزيينه بالفسيفساء والزجاج الملون والنقوش العربية الرائعة"[2] إنّه مكان للتواصل مع التاريخ الإسلامي الاستفادة من العلم والحكمة التي تركها البخاري رحمة الله عليه.

لقد كانت هذه مجرد أمثلة مستقاة من الكم الهائل للآثار والمعالم التي أدرجها "زيدان" في "مُحال"، وكانت غنية ومتنوعة في شتى المواضيع ولاسيما ذكره للأماكن التاريخية والمعابد والتماثيل الحقيقية والواقعية منها: ميدان المنشية، معبد الدير البحري، تمثال الأمير تيمور وغيرها حيث تساهم في السياحة وتعزز الاقتصاد المحلي للمناطق التي توجد فيها، كما أنها تعكس ثقافات وتقاليد المجتمعات القديمة وفَهم تجاربهم وانجازاتهم.

تمكن الروائي من تمثيل الواقع التّاريخي عن طريق استخدامه لتواريخ حقيقية في مادته السردية كذلك الشخصيات التأريخية التي تعكس الفكر والقيم التي تمثلها في الواقع لنقل رسالة معينة من خلالها، إضافة إلى التعريف بالآثار والمعابد، ما يجعل الرواية دسمة بالوقائع التي سجلها التاريخ.

[1] الرواية، ص178.

[2] عبد العزيز العويد، "ضريح الإمام البخاري"، المواقع التاريخية والسياحية في العالم.

الفصل الثاني: الواقع الاجتماعي في محال

1 . المعضلات الاجتماعية.

2 . العادات والتقاليد.

3 . المكان واللغة.

الواقع الاجتماعي في محال:

منذ ظهور الرواية العربية والواقع الاجتماعي يتسيّد مواضيعها بأي شكل من الأشكال، ويمكن الكشف عن طريقة تمثيله في رواية مُحال عبر تقصّي مجموعة من الأوضاع المعيشية للشخصيات بحكم أنّه يتعلق بوضعيتها، وحركتها في الرواية؛ هذه الأخيرة التي تعمل على طرح القضايا الاجتماعية الشائكة وترصد معظم التغييرات التي تحدث على مستوى التركيبة الاجتماعية، والرواية هي الطريق الذي يستهوي الكثير من الأدباء لقدرتها على تحمل خيالهم المجنح والمنفتح على مختلف القضايا الاجتماعية.

تتناول الرواية معظم الفروقات الاجتماعية والثقافية بين أفراد المجتمع الواحد، بوصف المجتمع هو الذي تظهر عليه ملامح الحياة ويعتبره الأديب المادة الخام لأعماله الأدبية فيصوغه في شكل فني وإبداعي ليصور المشاكل الاجتماعية من وجهة نظره، ورؤيته للظروف المحيطة به أو بمجتمعه.

إنّ الجانب الاجتماعي في الرواية يعني التركيز على العلاقات والدّيناميات الاجتماعية بين الشخصيات ويمكن أن تنفتح هذه الشخصيات على مواضيع مختلفة " الأسرة، الحب، الجنس.." أي العلاقات الاجتماعية بشكل عام، ويريد الأديب الحديث عنها، والشخصية الروائية كائن مُتخيل يتحرك بواسطة الحروف على الورق، يبث فيها الكاتب الروح والصوت ويحركها كيفما شاء داخل إطار سردي يخدم أفكاره، والرواية عنصر فعّال يساعد على استكشاف هذه العلاقات الاجتماعية والقضايا التي تحملها في مكنوناتها "إنّ الرواية مجال لتوصيل مفهوميات الحياة بواقعها وتاريخها وأصالتها وهي مدرسة فكرية قائمة على الخلق والتحليل والإبداع وصورة لتصوير كل مجتمع بفتراته الأمنية المعاصرة"[1] فالزّمن متغير لذا تتغير معه الظروف الاجتماعية ما ينتج عن ذلك نصوصا روائية مختلفة.

[1] لوسي يعقوب، إحسان عبد القدوس.. والحب، (ط1؛ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1994م)، ص77.

إنّ القارئ والدارس لأكثر الإنتاجات الأدبية، يكتشف أن الرواية وليدة المجتمع لتأثرها بالواقع والأديب الغيور على مجتمعه هو الذي يكتب عن المشاكل الحقيقية والأساسية التي تعنيه وتؤثر عليه سلبا، والذي يهتم بالمعضلات الاجتماعية التي تمس الإنسان بشكل عام.

إنّ علاقة الرواية بالمجتمع علاقة ترابطية ووثيقة، وغالبا ما تسعى لنقل ثقافة وقيم بلد ما أو بلدان متعدّدة، حسب الإطار المكاني للرواية وذلك من خلال الأحداث والشخصيات والمواضيع التي يركز عليها الروائي، بغية تمكين القُرّاء من التعرف على التجارب والوقائع والتقاليد التي تتميز بها إحدى المجتمعات واكتساب فهما أعمق للبشرية، و"يتمثل البعد الاجتماعي في انتماء الشخصية إلى الطبقة الاجتماعية وفي عمل الشخصية وفي نوع العمل ولياقته بطبقته في الأصل، وكذلك في التعليم وملابسات العصر وصلتها بتكوين الشخصية ثم حياة الأسرة في داخلها الحياة الزوجية والمالية والفكرية في صلتها بالشخصية "[1].

عموما لا يمكن أن يُعزل الأدب عن المجتمع ذلك أن "للكلمة دور في بناء المجتمعات وأكثر ما يظهر في المواقف العصيبة والأزمات وصانع هذه الكلمة أديب له عقلا واعيا متسلحا والأديب له عين تكشف الغطاء عن روح الأمة "[2] ضف إلى ذلك إيصال رسالته التي "تتطلب منه زادا ثقافيا وفكريا يُغني تجربته ويعمّق رؤيته للمجتمع والإنسان، ولا نفهم علاقة الأديب بمجتمعه أنها انخراط بمشاكل المجتمع، بل نفهمها إحساسا صادقا مفعما بالحب والغيرة والرغبة في تطور مجتمعه، فعلاقة الأديب بمجتمعه علاقة تفاعلية يتأثر بالمجتمع وأحداثه ويتأثر بالوسط الاجتماعي ويتفاعل معه، ممّا يزيد انتقاؤه وإحساسه "[3]، وما يجدر الإشارة إليه أنّ الرواية حتى وإن كانت واقعية إلاّ أن الروائي هنا لا ينقل الواقع كما هو، وإنّما يضيف أو يزيل منه شيئا لضرورة فنية وخدمة لأفكاره، ولتظهر لمسته الإبداعية، وتبقى مجرد واقع في إطار تخييلي يقول علاء الدين محمود في مقاله الرواية والمجتمع: " الأدب ليس

[1] محمد هلال الغنيمي، النقد الأدبي الحديث ج2، (د.ط، مصر: دار النهضة ،2004)، ص573.

[2] محمود أس، "الأدب وعلاقته بالمجتمع"، شبكة النبأ المعلوماتية،https://annabaa.orgالسبت 14فيفري 2015.

[3] المرجع نفسه.

بالضرورة هو مرآة تعكس الواقع الاجتماعي بصورة مباشرة بل هو قراءة ومعايشة له ثم إعادة تأويله وبناءه والكاتب الفذ هو الذي ينفتح بأخيلته ورؤاه نحو المجتمع، ينبش في المخفي والمسكوت عنه ويلقي الضوء على المناطق المظلمة فيه "[1].

يتطرق "زيدان" في مُحال إلى عدة قضايا اجتماعية بأساليب متنوعة، واستعان بشخصيات وأزمنة وأمكنة معروفة تعبر عن تاريخ البلد وحضارته حتى يمنح روايته صبغة واقعية، ويكتسي كل مكان صفات وتقاليد معينة كالفقر والغنى والتخلف والتحضر حسب البلد الذي يتواجد فيه البطل والمثير للانتباه أنّ زيدان لم يُعط اسما لبطل الرواية، فقط تمّ إضافة ألقابا له مثل "زول" و"أبو بلال" ويبدو أن استخدام هذه الألقاب أحد استراتيجيات يوسف زيدان لتحقيق أهداف معينة تتعلق بالرواية نفسها كمصير الشخصيات أو بمسار الأحداث وقد تكون خارج الرواية مثل أن يجعل القارئ يتماهى مع البطل بشكل أعمق، أو أن يوسع من دائرة الشعور بأن الحكاية يمكنها أن تكون عن أي شخص أو فرد من المجتمع وليس شخص بعينه. كما أنّ التركيز على الألقاب يحمل دلالات ثقافية واجتماعية يقدم بها الكاتب تلميحات عن الخلفية الاجتماعية للشخصيات، أو أن يثير بها عنصري الغموض والإثارة، وغالبا هو يريد بهذه الألقاب أن يبرز صفات هذه الشخصيات وأدوارها أكثر من التركيز على هوية الشخصيات. وبالعودة إلى "الأمكنة" فإنّ هذا الاستخدام الفني يُعزز الغموض ويثير التساؤلات، ممّا يدفع القارئ إلى التفكير بعمق في معاني الرواية ورسائلها الاجتماعية.

وهذه الرواية ترجمت لعدة لغات وقد تغير عنوانها من لغة إلى أخرى، والملاحظ أنّ الاسم المترجم للرواية كان "سبع أماكن"، هذا الرقم الذي يحمل دلالة الخير والشر" أبواب النار7 عجائب الدنيا 7، عدد السماوات 7، رؤيا ملك مصر 7 سنابل و7 بقرات، الطواف حول الكعبة 7" هذا يعكس بيئة المجتمعات التي يظل البطل يتنقل بينها، فمنها من تحمل له الخير واليسر ومنها من تلحق به الضرر.

[1] علاء الدين محمود، "الرواية والمجتمع"، صحيفة الخليج، https://www.alkhaleej.ae، 26 أوت 2019.

يمثّل "زيدان" الواقع الاجتماعي من خلال شخصيات روايته خاصة المحورية في فترة التسعينات إلى مطلع الألفية مركزا على العلاقات الاجتماعية والثقافة العربية والإسلامية خاصة. ويركز في "مُحال" على العديد من القضايا الاجتماعية التي تتميز بها المجتمعات العربية على اختلاف معتقداتها ولهجاتها، ويقول سعيد يقطين: "كل القضايا التي يتخبط فيها المجتمع العربي الحديث مما حاولنا الإيماء أو الإيحاء إليها، تجد لها حضورا في الرواية العربية بصورة أو بأخرى فإذا هي إياها وإذا هي الكعك من ذاك العجين"[1] وهو إيحاء بالتنوع والاختلاف ولذلك جعل الروائي بطله يتنقل بين سبعة أماكن، لينقل الظروف الاجتماعية التي تتصف بها كل بلدة كما جعلها عناوينا لفصوله.

1. المعضلات الاجتماعية:

1.1. البطالة واللاستقرار المهني:

تعد البطالة تقريبا من أكثر القضايا الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات العربية، ويركز زيدان على شخصية البطل بوصفه نموذجا عن أكثر الفئات تضررا من مشكلة البطالة وهي الفئة المتعلمة، وكما إنّ وجوده في مجتمع عربي له تقاليده وعاداته أجبره على الخروج بحثا عن العمل وهو لم يتجاوز العشرين سنة، و"انتهى من سني مدرسته الثانوية متأهلا للجامعة وصار عليه أن يعمل إلى جانب الدراسة ليساعد أباه الكادح، ويترقى بذلك إلى مرتبة الرجال، الرجل لابد له من عمل لأنّ البقاء بالبيوت شأن النساء ولا يليق بالرجال التشبه بهن هذا ما تعلمه من أبيه منذ الصغر ضمن أصول صار مع الوقت يراها تامة اليقين ولا مجال فيها للجدال"[2] ويريد الكاتب أن يشير إلى أنّ المجتمعات العربية على الرغم من مواجهتها لأكبر التحديات والتي تتعلق بلقمة العيش فهي تؤمن بأن الرجل خُلق لأن يكدح ويعمل وأن يتحمل مسؤوليته اتجاه نفسه وعائلته وأن يلتزم بدوره المؤهل له، ويتحمل كبير العائلة مسؤولية مضاعفة حتى لو كان صغير السن، فيكبر سريعا ليفكر في إخوانه جنبا إلى جنب مع أبيه "العامل الأول والأساسي في تكوين الكيان المجتمعي والتربوي حيث تسهم الأسرة في تكوين شخصية الطفل وتعليمه العادات

[1] سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، (ط1؛ الرباط: الدار العربية للعلوم ،2012)، ص11.

[2] الرواية، ص11.

والتقاليد والتربية والدّين كل هذه الأمور تقوم بها الأسرة لذلك هي من مكونات المجتمع، فالطفل غالبا ما يقلد أبويه اللذان ربياه في السلوك والعادات"[1].

إنّ الأسرة هي العامل الأول والأساسي في تكوين الكيان المجتمعي والتربوي، وتؤدي دورًا حيويا، والأسرة هي الحضن الأول الذي ينشأ فيها الطفل ويتلقى أول دعم وتوجيه في حياته. وتُسهم الأسرة في تكوين هوية الطفل وشخصيته ومن ثم تقاليده ومعتقداته، وهي أول بيئة تعليمية فيتأثر الطفل بسلوك وأقوال وأفعال والديه ويقوم بتقليدهما، وهو ما يشير إليه زيدان في محال بشكل مباشر عبر شخصية البطل.

ويكشف "زيدان" عن معاناة الطبقة الفقيرة والمتوسطة عبر شخصية البطل الذي يتحمل المسؤولية فيعمل ليساعد عائلته في شؤونهم اليومية، وهو بهذا يشير بشكل غير مباشر إلى الغني الذي لا يواجه أي صعوبات في مشواره الدراسي لتوفر كل الاحتياجات اللازمة سواء له أو لأهله.

بالعودة إلى البطل الذي درس علم الاجتماع، لكنه عان من إيجاد عمل له في هذا المجال واشتغل كمرشد سياحي على الرغم من أنه لم يدرس عنه قط، وبعد العقبات التي مرّ عليها عمل في عدة أماكن لا تتماشى وتخصصه، وهو العمل كمحاسب في شركة المنتجات المعلبة وكمصور في قناة الجزيرة، ولعل هذه المهمة الأخيرة هي الأقرب له لتصوير الراهن في مجتمع من المجتمعات.

تتجسد ظاهرة البطالة والتي يقصد بها "بقاء العامل خارج نطاق العمل المنتج رغم قدرته عليه وهي أيضا ندرة توافر العمل المناسب لشخص ما راغب فيه وقادر عليه نظرا لزيادة القوى البشرية المؤهلة عن حجم فرص العمل التي يتيحها المجتمع"[2] أو "عدم تمكن أفراد المجتمع من الحصول على عمل ثابت، يكون مصدرا رئيسيا للدخل بالنسبة

---

[1] الدكتور محمد بشارات، "تعريف الأسرة ومكوناتها وأساسيات بناؤها" ، https://www.drbsharat.com 19 فيفري 2018

[2] طارق عبد الرؤوف عامر، أسباب وأبعاد ظاهرة البطالة وانعكاساتها السلبية على الفرد والأسرة والمجتمع ودور الدولة في مواجهتها، (ط2؛ عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، 2015)، ص12.

لهم وذلك في حال بحثهم وسعيهم للحصول على عمل"[1] ما دفع بالبطل للهجرة خارج بلده بحثا عن فرصة عمل تعينه على سد رغباته المادية.

كذلك شخصية نورا الحاصلة على شهادة الليسانس في علم الاجتماع والتي كانت تحلم بالعمل في الصحافة لكفاءتها في هذا المجال، ونظرا لما يتميز به واقعها من انعدام لتكافؤ الفرص ولأمانة يوسف زيدان في نقله للواقع، و"كان مدير التحرير الأشيب ذو الأنف الكبير يحدق في جسمها بأكثر مما يهتم بالموضوعات التي تأتيه بها "[2] ما يشير إلى التحرش غير المقبول واستغلال حاجة النساء للعمل للنيل من شرفهن ما ينتج عن ذلك نوع من اليأس وعدم الأمان الذي تسببه هذه الوحوش البشرية، وزيدان هنا يظهر هذا النوع من التمييز الجنسي الذي يواجه نساء العالم العربي في مختلف بيئات العمل والظروف الصعبة، فيتجهن إلى البطالة، وهو بهذا يصور وجهين لأسباب البطالة واحدة تتعلق بالرجال والأخرى بالنساء وعلى الرغم من قوة الرجل وضعف المرأة فمصيرهما واحد في المجتمع العربي وهو البطالة، وإلى جانب هذا فهو يصوّر قوة كلا الجنسين في مواجهة هذه التحديات فالرجل يسافر متحديا كل الصعاب من أجل تأمين لقمة عيشه والمرأة ترفض كل الإغراءات حفاظا على عرضها وشرفها، وعلى الرغم من قِدم هذه الأفكار في مجتمع أصبح أكثر تطورا يبقى هذا الموضوع في الواجهة ويطرحه زيدان في روايته أملا في تغيير هذه النمطية التي تؤدي لتفشي هذه الظاهرة أكثر واللاّمساواة في العمل وغياب المراقبة، ضف إلى ذلك الانتقائية والتمييز في عملية التوظيف.

2.1. ثنائيّة الحب والجنس:

لا يخلو الكون من شعور الحب، وهو شعور فطري يلازم الإنسان منذ ولادته، والطبيعة النفسانية للبشر تحمل غريزة اتجاه الآخر، فالرجل دائم الاحتياج للمرأة مهما بلغت قوته والشيء نفسه بالنسبة للمرأة مهما وصلت

[1] طارق عبد الرؤوف عامر،أسباب وأبعاد ظاهرة البطالة وانعكاساتها السلبية على الفرد والأسرة والمجتمع ودور الدولة في مواجهتها ،(ط2،دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع،2015 ،ص12.

[2] الرواية، ص114.

لذروة استقلاليتها، حيث أنّ الحب يعتبر شعور عاطفي وأما الجنس ما هو إلا غريزة إنسانية " الإنسان يجب أن يحب و يحب باستمرار فمع كل حب إشراقة أمل وإشراقة حياة "[1] لذا حظي هذا الموضوع بأهمية بالغة من طرف الأدباء والشعراء وتغنوا به في مرويّاتهم وكتاباتهم، وأصبح وجوده في أعمالهم أمر طبيعي ووارد وشائك في الوقت نفسه وتواجه ثنائية الحب والجنس صعوبات ومعيقات في الكتابات العربية، نظرا للجدار السميك الذي يقف في وجهها والذي يتمثل في الدّين والتقاليد، فالمجتمعات العربية محافظة تدخل الجنس في إطار الزواج وترى الحب خطيئة لا يجب الجهر به، وهذه هي النظرة التي كانت وظلت سائدة في كل وقت باعتباره مفهوما خاطئا ، في حين إن الحب هو الوجود والحياة ويراه البعض مرادف للجنس، ويبقى السؤال يطرح نفسه في كل زمن ، هل الجنس هو الذي يولد الحب أم العكس؟

يصور "زيدان" في رواية "محال " قصة حب في سن العشرينات، وهذا السن الذي يبدأ فيه الإنسان بالتحليق في سماوات العشق، مختلطا بإحساس المراهقة وبدايات النضج في آن واحد وقد عالج القضية بكل صدق، لتكتمل واقعية قصته معبرا بذلك عن رغبات هذه الفئة العاشقة وما ينجر عنها من سلوكيات لا تتوافق مع المجتمعات العربية.

يحظى بطل محال العشريني بنوع من الارتياح ليعيش أجمل قصة حب هو ونورا، ولعل تمثيل الحب هو غايات الوصول لإبراز مشاعر الشخصيات وتحليل المجتمع بواسطة الكشف عن مكنونات هذه العلاقات الاجتماعية.

يدرج "زيدان" عنصر الجنس في هذه الرواية ليمثل مشاهد الحب من زاوية نظر فئة من المجتمع، ويصوّر المشاهد بكل جرأة في مقاطعه السردية بشكل ملفت للنظر وهو بهذا يلمح إلى ما يحياه المجتمع العربي مؤخرا في خلطه بين الحب والجنس حتى أنّ الكتابة عن تيمة الحب والجنس أصبحت بشكل مباشر ومكشوف.

[1] لوسي يعقوب، إحسان عبد القدوس .. والحب، ص67.

بالعودة لقصة الحب التي تجمع بين البطل ونورا يتضح أنّ "يوسف زيدان" صوّر بدايات الحب في عدة مقاطع، ويعدّ هذا نوع من أنواع التنفيس الذي يتقصده الكاتب أحيانا في روايته حتى لا يقع القارئ ضحية الأحداث المأسوية التي تصبغ الرواية فيمل وينفصل عنها، كما أنّها حيلة يستخدمها الكاتب عادة ليستقطب فئة الشباب التي تهتم بمثل هذه المواضيع "حيّاها وانطلقا إلى الشوارع الخلفية المؤدية إلى السوق وهو يشعر بأنه قد صار أطول وأجمل، لأنّها صارت أرق و أقرب "[1]، "في غرفته التصق بوجهه الابتسام وهو ينظر في جريد السقف بفرحة الصغار ليلة العيد راح يستعيد في سره ما سمعه اللّيلة من كلامها ويسترجع بسمتها المؤنسة حتى أخذه نوم لذيذ"[2] وهذا هو الواقع المعاش للشباب خاصة في عمر العشرينات، وتبقى هذه اللحظات راسخة في ذهن الحبيبين باعتبارها لحظات الحب الأولى، فالكاتب عمد لهذا النوع كونه الأحلى والأبهى في كل فترات العمر لما لا وهو الأبقى حتى وإن لم ينته باتحاد الطرفين واصفا لقاءاتهم وبوحهم لبعضهم البعض عن إعجابهم، الذي يعد العتبة الأولى للحب وكأنه يعيد صياغة البيت الشعري لأبي تمام[3]:

نَقِّل فُؤادَكَ حَيثُ شِئتَ مِنَ الهَوى ما الحُبُّ إِلّا لِلحَبيبِ الأَوَّلِ

كَم مَنزِلٍ في الأَرضِ يَألَفُهُ الفَتى وَحَنينُهُ أَبَداً لِأَوَّلِ مَنزِلِ

"لا أدري كيف تغيرت منذ رأيتك وصار كل ما فيك يجذبني إليك، كأني قطعة منك كانت مشروعة بدلال غير معهود، قالت له أنها تنجذب أيضا إلى شيء فيه "[4] هذه المرحلة هي من أسمى مراحل الحب وأنقاها، إلا أنها طاغية بكثرة في الماضي عكس الراهن " إنّ الحب في الماضي كان هو الحب الرومانسي الرائق الشفاف الذي

---

[1] الرواية، ص41.

[2] الرواية، ص43.

[3] حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام. الشاعر، الأديب. أحد أمراء البيان. ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق. ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم سنتين حتى توفي بها. كان أسمر طويلا، فصيحاً، حلو الكلام، فيه تمتمة يسيرة، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطيع. في شعره قوة وجزالة. https://www.aldiwan.net/quote92.html

[4] الرواية، ص58.

يكتفي بالنظرة من بعيد وتشابك الأيدي فيكون هذا أقصى درجات الحب، فالحب عاطفة سامية لا تنمو ولا تترعرع إلا في ظل الزواج وفي ظل رعاية الأسرة وفي رحاب الإيمان وهذا هو المفهوم الثابت للحب"[1] وموضوع الزواج ذكره "زيدان "وفضله على علاقات الحب العابرة " الزواج أجمل ما يمكن للشاب أن يفعله بل هو الهدف النهائي له"[2] لأن الزواج في سن مبكرة يقي النفس البشرية من ارتكاب المعاصي والدخول في بحر الرذيلة، وهي صورة يرضاها الله و رسوله صلى الله عليه وسلم.

والزواج هو "تعاقد بين رجل وامرأة يقصد به استمتاع كل منهما بالآخر وتكوين أسرة صالحة ومجتمع سليم"[3] وزيدان هنا ينقل سلوك البيئة الإسلامية والعربية المحافظة التي تشجع على الزواج في سن مبكرة عوضا عن الانحراف الذي ينجر من خلاله عدة عواقب ولكن الواقع والظروف المزرية غالبا ما تقف عائقا أمام من ينوي الحلال، هذا ما أبرزه "زيدان" في روايته هذه، فبطلها لم يستطيع تحقيق حلمه بالزواج من نورا نظرا للظروف المادية السيئة التي كان يعاني منها.

من ناحية أخرى، يرصد هذا النوع من النفاق الاجتماعي الذي ساد عند العرب في ظل ثنائية الحب والجنس؛ فمع شخصية البطل التي رفضت الانغماس في المعاصي وممارسة الدعارة مع الأجنبيات في الملاهي والاستمتاع بالنظر لأجسامهن الفاتنة والعارية "ترجم له الشاب ما كانت الفتاة تقول بالروسية والعياذ بالله، هي تريد الذهاب معه لقضاء الليلة مقابل عشرين دولارا وإذا لم يكن لديك فندق أو شقة تناسب اللقاء فسوف تستضيفك الليلة في غرفتها القريبة من هنا وفي الصباح تدفع لها ثلاثين دولارا، لا عشرين دولارا يا فاسقة ولا ثلاثين، قال للشاب أنه لا يريد شيئا وخرج مسرعا كمن يفر من أمر يرغبه ويهرب من شيء يشتهيه ولا يعرفه"[4] استباح ذلك مع الحبيبة

---

[1] لوسي يعقوب، إحسان عبد القدوس.. والحب، ص100.

[2] الرواية، ص25.

[3] أروى بريجية،"ما هو مفهوم الزواج في الإسلام"، https://mawdoo3.com، 14 يونيو 2022م.

[4] الرواية، ص173.

نورا، ليظهر هذا الطابو الذي اجتاح معظم الكتابات الأدبية "تؤكد نظريات "فرويد" أنّه المحرك الأول لنوازع وكوامن الإنسان الشريرة والخيرة، فالغريزة تسيطر على تصرفات الشخص إن أحسن توجيهها في الطريق الذي يمكن أن يوجهها إليه والحياة تتكامل وتتفاعل وتؤثر وتنتج بالحب وبالجنس لأنها حياة "[1]، وهذا المصطلح "الجنس" الذي انتشر باسم الحب في المجتمعات العربية.

استطاع الروائي "زيدان" من خلال هذه القصة أن يكشف عن العقد النفسية والمكبوتات التي ينشأ بها المجتمع العربي غير أنه يظل مجرد طرح لهذا الخلل المجتمعي والفكري، ولم يقم بمعالجته أدبيا ليقدم صورة للخطاب المسكوت عنه ف "الجنس موضوع شائك ومعقد، لا لأننا نستحي من تداوله فحسب، بل لأن الحديث عن الجنس في تحققه الإنساني يتحدى إمكانيات اللغة ويخرج عن المألوف والعادي وبالتالي تصوير المتعة الجنسية يصبح معضلة لغوية"[2] وهذا ما شاع سابقا أما في العصر الحالي أصبحت اللّغة شريكة الروائي في مساعدته على تفجير باطن هذا الطابو الذي يخلق لهذه اللّغة تركيبا جديدا وهذا ما أصبحت تقدمه معظم الروايات .

إن لفظة "الجنس" ترتبط بشكل مباشر بالجسد، وهو فعل تشاركي بين المرأة والرجل وتعرض "محال" هذا الجانب الجنسي عن طريق قصة الحب والجنس، واصفة بلغتها المكثفة مراحل الوقوع في هذا الفعل الذي كان في زمن ما لا يخرج من غلافه، إذ يقول في مشهد وصفي "بعدما أغلقا الباب عليهما لأول مرة دعته نورا وهي تزيح عن شعرها الحجاب إلى الاستحمام بسرعة كي يلحقا الشمس بالمنتزه قبل غروبها، وقامت هي لترتيب البيت وتغيير ملاءات السرير وإخراج حاجياته وصفها في خزانة الملابس، خرج من تحت الدش منتعشا فوجدها تنهمك فيما تقوم به. جسمها جميل. وقف حينا يتأملها وهي تضفي على الأشياء رونقها فهام ولما اقترب استدارت منه باسمة، فاحتضنها من خلفها ذابت بين ذراعيه جلس على طرف السرير وبقيت أمامه واقفة مثل ميريت آمون وهي تبيح لنظراته الطائشة التهامها. الاشتياق غلبه فأحاط خصرها بذراعيه فذابت ثانية، ثم راحت تمنح .أفلتت أزرار

[1] لوسي يعقوب، إحسان عبد القدوس.. والحب، ص104.

[2] فريال جبوري غزول، "تجليات الجنس في الرواية العربية"، مجلة الكلمة، العدد 29، https://www.alkalimah.net مايو 2009م.

قميصها فانفسحت أمامه البحيرات وحار، نزعت عنها القميص فرأى النهد الثائر يمور تحت حمالة الصدر كقطعة نار فارتجف أحاطت رأسه بذراعيها وشدته إلى صدرها العاري، فارتد رضيعا مشبوبا بالشهوة محموما بالتأوه"[1] في هذا المقطع السردي تظهر جراءة زيدان في وصفه لحالة العشاق وهذا النفاق الذي يمارسه العرب والمسلمين، فنورا المتحجبة نزعت الحجاب في جو جنسي لا يتقبله المجتمع المسلم والمحافظ، فالحجاب يجب إقرانه بالأفعال اللازمة لا مجرد قماش على الشعر ينزع عند الرغبة ويضيف زيدان استكمالا لهذا المشهد "بعدما دار الدوار برأسه وبرأسها رفعت عنها القيد الفوقي فانفلت نهداها يتمردان، تاهت أنظاره في النافرين وصبره انهار ألقت عنها الستور التحتية وعنه فانقدت أنحاؤها بلسعات السنة اللهب وتكسرت تحتهما ألواح السرير هبطا إلى الأرض فصارت لهما موئلا وحصيرا وبحرا ينذر بالغرق فيطلق من قلبها الشهقات عند اشتداد العناق"[2] ويعكس هذا المجتمع العربي الذي يتجاهر بالعفاف ويمارس هذا النوع من المحروم في الخفاء باسم الحب "باحت له بأن أرضها موهوبة له لأنها تحبه وهو الأحق بقضم تفاحتها المخبوءة "[3] وهذا تماثلا للعالم الغربي الذي أرسى كل معالمه في العالم الموازي وهو العربي.

حاول "زيدان" توعية هذه الفئة في حوار دار بين البطل ونورا استذكارا لقول صديقتها "أمل" لها عن الحب " تقولي مثلا عارفة ايه الحب؟ حاجة كده الرجالة اخترعوها علشان يناموا مع الستات العبيطة من غير فلوس "[4] فالنساء غالبا هن ضحايا هذا الحب الذي يؤدي إلى مثل هذه التصرفات اللاأخلاقية، والرجل عادة ما يحب بعينيه أما المرأة بقلبها وإن أحّبت سلمت نفسها وجسدها قربانا لهذا الشعور.

في ظل هذا المشهد الذي يشوبه نوع من التعري، وكأن "زيدان" أراد تعرية المجتمعات العربية إلا أنه يمكن التماس ذلك التمجيد الذي يتخلل سردياته عن العشق "ما العشق؟ هو عطية ربانية يهبها الله لمن يصطفيه من العباد

---

[1] الرواية، ص112.

[2] الرواية، ص113.

[3] الرواية، ص، نفسها.

[4] الرواية، ص84.

ويحتبيه فيعطيه من أنواره مددا ودهشات لمعانه على مرآة قلب العاشق المجلوة البراقة، كان المحبوب مكسوا بالبهاء الإلهي فيهم برؤياه"[1] فالحب عاطفة سامية وهدية من الله، غير أنه تشوه بفعل الجنس في إطار الحديث عن الكبت الجنسي الذي يتماشى والنفس الإنسانية الأمارة بالسوء.

يحضُر جسد المرأة في الرواية ليعبر عن حالة من التيه التي تعاني منها المجتمعات العربية والتي يبقى فيها العقل العربي متأرجحا بين الجسد والأخلاق، ليتغلب الجسد في مشهد يجمع امرأة محجبة ومحافظة بعشيقها في مكان منعزل عن جميع الناس، وهو في الحقيقة انعزال عن جميع الأفكار التي لها قدرة كسر هذا اللقاء إن تحركت بشكل صحيح، ويعطي زيدان للمرأة أهمية بالغة في "محال" ويتحدث عن دورها الفعال في المجتمع كأم وكصديقة وحبيبة.. وضرورة وجودها في المجتمع، وهذا الكائن الذي مازال يثير الجدل لكونه شخصا متميزا له قيمة عالية ويخصص الله عز وجلّ سورة بأكملها عن النساء بوصفها الحاضنة الأولى لجميع الأفراد، و" المرأة هي أمتع الخبرات، لأن النساء أبدع ما في الكون وأفظع ما فيه "[2] وأنّ "أي امرأة يمكن أن ترق حين تحب، وتتطيب إذا أرادت"[3] وهنا تعبير صادق عن أهمية وجود المرأة وأنها كالرجل في الفكر والعقل، ومهما كانت قوية فعامل الحب يؤثر عليها أكثر من الفئة الرجالية.

من خلال هذا العنصر ينظر إلى أن الكتابة حول الحب والجنس خصوصا الجنس، يعدّ نوعا من الجمال الأدبي وتوظيف الجنس يقرأ من عدة زوايا فقد يكون الحديث عنه بداعي التشهير والتسويق وقد يكون مجرد تغطية ومراقبة للواقع الاجتماعي، و"تنطلق تجليات (الجنس) في الرواية العربية لتكشف المستور من العلاقات وتتصدى للنفاق الاجتماعي ومن خلالها نجد تشريحا لمجتمع تقليدي بكل آلياته التي تقمع وتستتر تتاجر بالجنس وتتظاهر بالعفة"[4].

---

[1] الرواية، ص91.

[2] الرواية، ص36.

[3] الرواية، ص، نفسها.

[4] فريال جبوري غزول، "تجليات الجنس في الرواية العربية"، مجلة الكلمة، العدد 29، مايو2009م.

2. العادات والتقاليد:

ما يُعرف أن المجتمع هو مجموعة من الأفراد يعيشون في رقعة جغرافية معينة، ويتشاركون في القيم والعادات والتقاليد نفسها ويمكن للمجتمع أن يؤثر على سلوكيات الأفراد، وفهم المجتمع عن طريق الرواية يساعد على توضيح تصرفات ودوافع الشخصيات.

عادة ما تكون العادات والتقاليد مرتبطة بالدّين أو الثقافة أو العادات العائلية وهي وسيلة للكاتب في إظهار ثقافة مجتمع من المجتمعات كما قد يوفر تلك المتعة التي تصطحب القارئ لأنها توفر نظرة فريدة ومتميزة، تعرفه على ثقافات مختلفة.

للعادات والتقاليد جانبين، الأول إيجابي يعمل على الحفاظ على السلوكيات المتوارثة عبر الأجيال محافظة على ذاكرة الشعوب وتراثها كما تساهم في ضمان تماسك المجتمع، أما السلبي منه فهناك بعض العادات تعمل على تشويه صورة المجتمع وتقف في طريق التطور والتقدم والازدهار، يقول عرفان أمين في جريدة القدس إنّ "العادات هي مجموعة أمور اعتدنا على القيام بها منذ الصغر أما التقاليد فهي موروثات ثقافية ورثناها عن الإباء والأجداد تؤثر في نشأة الإنسان" [1] فالعادات والتقاليد جزء لا يتجزأ من المجتمعات وهي بمثابة معرفة لمنطقة ما.

1.2. العادات والطقوس البدائية:

يتطرق "زيدان" في روايته مُحال إلى العادات والتقاليد التي تتسم بها كل منطقة يتواجد فيها البطل؛ ففي البداية قام بذكر عادة الزواج في السودان كون شخصية البطل سودانية، فنال السودان الحصة الأكبر في التعريف ببعض عاداتهم "سأله عن عمره فقال الصيف القادم أتم الأربعة والعشرون حلو ده أحسن وقت للجواز بس إذا كنت يبقى سيبك من دماغك في السودان منهم لله المفترين بيخربوا بناتهم بموضوع الخياطة حاجة تقرف"[2] نلمس ذم زيدان لهذه العادة السيئة التي تعتبر جزءا من تقاليدهم القديمة وهي عادة فرعونية أبت أن تزول، وتتمثل في تخييط

[1] عرفان أمين، "العادات والتقاليد"، جريدة القبس، https://www.alqabas.com، الكويت، 14 سبتمبر 2017م.

[2] الرواية، ص35.

المهبل للتأكد من العذرية والكلمة الأخيرة على لسان الشخصية الثانوية سهيل "مقرف" تبين نظرة زيدان اتجاه هذه العادة المقرفة التي لها سلبيات عديدة على جسد المرأة وأعضائها التناسلية ما يسبب أثارا صحية ونفسية كالألم المستمر والقلق والاكتئاب وانخفاض الثقة بالنفس وغيرها من المشاكل التي تتخبط فيها النساء جراء هذا السلوك الشنيع، وزيدان بهذا أراد بطريقة أو بأخرى أن ينشر الوعي للحد من هذه الظاهرة الخطيرة والتشجيع على قطعها، فهذا لا يتماشى والدّين وهي جريمة في حق المرأة.

إنّ الطقوس الأساسية للزواج في المجتمع العربي معلومة، غير أن بعض التفاصيل تختلف من بلد إلى آخر، ففي السودان يهتمون بخياطة النساء قبل زواجهن، ولم يكتف زيدان بالحديث عن هذه العادة وتجاوزها للحديث عن بعض الطقوس البدائية التي يتم بها الزواج في الماضي قبل مجيء الإسلام ليؤكد عن طريق إحيائه لهذه العادات أنها أقوى من الدين أحيانا، وأن الإنسان بطبعه لا يتخلى عن السلوكيات المتوارثة حتى وإن كانت غير ضرورية، ويقول الروائي تمثيلا لهذا السلوك البدائي "أخرج من محفظته الموس المدسوس فاندهشت، شق في باطن كفه اليمنى جرحا صغيرا فاندهشت أكثر، أمسك باطن يدها اليسرى وأفهمها أنهما الآن سيتزوجان مثلما كان البشر يتزوجون في الماضي السحيق... ارتضت نورا بالطقس البدائي ومدت يدها إليه فشق فيها برفق جرحا صغيرا ثم أطبق الكفين حتى تختلط في العروق دماؤهما وتجري في جسمين سوف يصيران من الآن جسما واحدا"[1] فالطقوس البدائية لها تأثيرها على المجتمع و"يعرفها علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية بأنها مجموعة حركات سلوكية متكررة تتفق عليها أبناء المجتمع وتكون على أنواع وأشكال مختلفة تتناسب والغاية التي دفعت الفاعل الاجتماعي أو الجماعة للقيام بها "[2] ويظهر هذا صورة العلاقات الزوجية التي تكون بسيطة في الماضي وخالية من التكاليف العميق، وكأن

[1] الرواية، ص 101.

[2] بن عبد المولى نصيرة، الطقوس البدائية وعلاقتها بالممارسات الدينية المعاصرة، إشراف أنور حمادي، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2014م، ص7.

الروائي يقوم بمزج الماضي بالحاضر عن طريق استحضار مثل هذه الممارسات البدائية والبدائي هو "عقلية معينة تتميز بخصائص منطقية مختلفة عن عقلية الإنسان الحضري"[1].

2.2. ثقافة الأعراس:

للأعراس قيمة كبيرة لدى جلّ شعوب العالم، ولكل أشكاله الخاصة في الاحتفال بمعظم المناسبات السعيدة من أعراس وأعياد وغيرها.. ويتأسس هذا الشكل الثقافي، على قيم فكرية تعود للأزمنة الماضية، وهذا نوع من الحفاظ على الموروث القديم.

إنّ الوقوف عند رصد أشكال الاحتفال في منطقة من المناطق وتسليط الضوء على معظم المناسبات، وكيفية إحيائها والتعريف بعاداتهم التي تخص نوع الغناء، المأكل والمشرب والملبس، نوع من أنواع إثبات الهوية، والخصوصية التي تتميز بها هذه المنطقة عن سواها من مناطق العالم.

رصد الروائي أهم العادات والتقاليد التي يمارسها الشعب المصري والسوداني، ونقل بيئة الأعراس في أسوان، والعرس مناسبة تدخل الفرح والسرور للضيوف والأقارب "لأهل أسوان شغف بهذه الأشعار وهم ينشدون منها في الأعراس البهيجة مئات الأبيات المتتالية للأعراس هنا في أسوان شأن كبير"[2] فأسوان لها أشعار متميزة يردّدونها في مناسباتهم تعظيما للفرحة التي تجمع العائلة والأصدقاء للاحتفال وتبادل السعادة، وقد جسد زيدان هذه الأشعار في "محال" للتعريف بها:

"ياست الجمال، انتي علي نويتي

عايني، كيف في الشباب سويتي

جرحتي القلوب والعيون بكيتي

---

[1] بن عبد المولى نصيرة، الطقوس البدائية وعلاقتها بالممارسات الدينية المعاصرة، اشراف أنور حمادي، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2014م، ص8.

[2] الرواية، ص26.

حرام عليكي، جرحتي ولا دويتي"[1].

هذه الأشعار تميز أسوان "مدينة في مصر"عن باقي المناطق الأخرى، وزيدان استحضرها كنوع من الافتخار بتراث أسوان القديم لتتوارثها الأجيال القادمة.

من خلال ما سبق، فمن الأسباب التي جعلت زيدان يذكر بعض العادات في محال هو استعراض الثقافة والتقاليد المحلية التي تتميز بها منطقة من المناطق، وإضفاء الطابع الواقعي للرواية عن طريق تصوير تفاصيل الحياة اليومية والمناسبات الاجتماعية.

أما الأعراس في أوزبكستان فتختلف تماما عن مصر من حيث الملبس خاصة "كنت أحب أن يقام لك عرس كبير تلبس فيه العباءة الأوزبكية المذهبة المخصصة لهذه المناسبات السعيدة"[2] وليس فقط في الأعراس وإنما حتى الملبس اليومي يختلف من مكان لآخر وشخصية البطل هي من كشفت عن ذلك.

إنّ هذا الانتقال من منطقة لأخرى، ورصد نوع من أنواع عاداتهم المرتبطة بثقافة الأعراس يعطي للقارئ تلك المساحة في التعرف، على سلوكيات الغير، فمثلا ما يفعله الزوج الأوزبكستاني عند زواجه "يتجه العريس إلى مكان الاحتفال، برفقة الأصدقاء والأهل والأقارب جميعهم، ويرتدي الزي الوطني بهذه المناسبة وهو عبارة عن "جابون" ذهبي يوضع على الرأس يكون به بعض المجوهرات الذهبية ثم يرتدي بشتا مطرزا برسومات وهو مصنوع من الحرير الخالص "[3].

عرض "زيدان" الأكلة الشعبية الشهيرة في سمرقند المخصصة للاحتفالات "التفوا فرحين حول هرم يعلو طبقا خزفيا كبيرا، فيه أكلتهم الشعبية المعتادة عند الزيارات والاحتفالات والاحتفاءات. هي وجبة شهية يسمونها "بلوف"

[1] الرواية، ص 24.

[2] الرواية، ص 187.

[3] عرين البيروني، "عادات وتقاليد الزواج في أوزبكستان"، إي عربي، https://e3arabi.com24يناير2021م.

ويطبخونها بطريقة مخصوصة يخلطون فيها الأرز بقطع الخضروات واللحم."[1] ليكشف هذا التنوع بين بلدان العالم، وهذا الطبق التقليدي التي تتميز به منطقة "سمرقند" الأوزبكستانية.

إذن، هناك فروقات كبيرة في الاحتفالات بالأعراس حول العالم، سواء في الملبس أو المأكل أو الأشعار التي ينشدونها، وهذا ما جعل زيدان يذكر في كل منطقة يتواجد فيها البطل شيئا من ثقافتهم التي تعنى بالأعراس خاصة.

3. المكان واللّغة:

1.3. المكان في محال:

تلعب الأماكن دورا مهما في إيصال رسالة الكاتب وتطوير القصة؛ وقد ترمز لمشاعر وأفكار معينة، وتختلف من أماكن آمنة إلى أخرى مظلمة أو تعكس طابعا ثقافيا، وتعددها أمر لا بد منه لأنها تدور من حولها حياة الإنسان وأعماله وصراعاته " يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة لا لأنه أحد عناصرها الفنية أو لأنه المكان الذي تجري فيه الحوادث وتتحرك خلاله الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوي على كل العناصر الروائية لما فيه من حوادث وشخصيات وما بينهما من علاقات ويمنحها المناخ الذي تفعل فيه وتعبر عن وجهة نظرها، ويكون هو نفسه المساعد في تطوير بناء الرواية والحامل لرؤية البطل والممثل لمنظور المؤلف وبهذه الحالة لا يكون المكان كقطعة القماش بالنسبة إلى اللوحة بل يكون الفضاء الذي تصنعه اللوحة"[2] فالأمكنة عامل أساسي في إظهار أحداث الرواية ولعل هذا ما يقصده زيدان من خلال المعنى الدلالي الثاني لـ "محال" بفتح الميم الذي يعني الأماكن، وفي هذه الرواية ارتحل البطل إلى عدة أماكن لذلك جعله زيدان دارس لعلم الاجتماع وعاملا كمرشد سياحي، ثم المهمة الكبرى وهي مصور في قناة الجزيرة في قطر فالأولى لها الفضل في فهم التفاعلات الاجتماعية بين الأفراد وتحليل الظواهر الاجتماعية وفهم العوامل التي تؤثر في سلوك

[1] الرواية، ص181.

[2] أحمد زياد محبك جماليات، المكان في الرواية، ديوان العرب، منبر حر للثقافة والفكر والأدب، https://www.diwanalarab.com

الناس، أما الثانية فتساعد في الاستكشاف والتعرف على ثقافات المجتمعات وعلى مختلف الوجهات السياحية ضف إلى ذلك توجيه السياح لأماكن مميزة وتقديم المعلومات التاريخية والثقافية وهذا ما ساعد الكاتب في نقل فكره عن طريق البطل الذي تقمص هذه الأدوار والثالثة فلها أهمية كبيرة في توثيق الأحداث ونقلها للجمهور بصورة مرئية وهذه القناة معروف عليها بحقيقتها في نقل الأحداث الواقعية وهذه كانت حالة البطل الاجتماعية الذي رصد زيدان من خلالها أحداثا مهمة وقعت في أماكن مختلفة بدءا بأسوان، وهي محافظة من محافظات مصر الجنوبية والتي تقع على ضفاف نهر النيل العظيم، ولعل ابتداء الرواية بالحديث عن منطقة أسوان يعد نوعا من أنواع إثبات الهوية كون الكاتب أصله من مصر إضافة إلى السودان التي يكتسيها الفقر والحرمان كيف لا والبطل يهاجر دائما بحثا عن الاستقرار المهني "أم درمان هي الجانب الأفقر من الخرطوم "[1].

واصل الروائي في ارتحال البطل لاكتشاف القارئ تنوع الأمكنة ووصفها إذ "عندما يستعين الروائي بوصف مكان أو تسميته فهو لا يسعى إلى تصوير المكان الخارجي وإنما يسعى إلى تصوير المكان الروائي ...وإذا كان السرد يروي الأحداث في الزمان فإنّ الوصف يصور الأشياء في المكان ولكنه ليس غاية في ذاته وإنما هو لأجل صنع المكان الروائي أو بالأحرى لخلق الفضاء الروائي فما هو بالتصوير الموضوعي إنما هو تصوير فني "[2].

يتطرق الروائي إلى أماكن أخرى كانت مسرحا للأحداث بالنسبة للبطل، ففي المنتزه مثلا كان تأثيره إيجابيا بالنسبة له فقد عاش مع نورا أجمل أيام حياته والذي وصفه الكاتب بأجمل حلة يليق بقصص الحب الخيالية "المنتزه محل النوال"[3] أما منطقة الخليج البعيدة لإيجاد وظيفة كمغترب ضائع في بلاد عكس بيئته التي تعود عليها منذ الصغر "أسوان وأم درمان" فوصف زيدان الأماكن القريبة من الخليج كدبي والشارقة وأبوظبي ،لينقل لنا حياتهم وهيئة ساكنيها " سكن في الشارقة بحي يمتلئ بالهنود وتفوح أنحاؤه برائحة أبدانهم الشاحبة الملتهب باطنها بطعامهم الحار

[1] الرواية، ص11.

[2] أحمد زياد محبك، "جماليات المكان في الرواية".

[3] الرواية، ص96.

الحريف الهنود هنا هم أكثر الوافدين عددا فهم متشابهون فيما بينهم ويشبهون النمل التائه وأما المواطنون فهم في الحي قلة ونادرا ما تعامل مع واحد منهم في الشارقة أو دبي"[1] فهنا نوع من استحضار التراث بذكر أجناس معينة ومظهرهم وحتى نوع أكلهم، كذلك منطقة الشارقة وهي منطقة تستقطب المهاجرين لأنها تناسبهم والمعيشة رخيصة هناك " يعملون ببلدة دبي ويسكنون بالشارقة لأنها الأرخص والأنسب لفقراء الوافدين دبي أنشط من الشارقة وأكثر بذخا وتأنقا ولياليها فيما يقولون هائجة لأن بها الملاهي العامرة بالعاهرات والخمر المراق"[2].

الملاحظ أنّ "زيدان" قام بمقارنة دبي بالسودان عن طريق ضربه مثالا بالأبقار ولعل المقصود أبعد من ذلك وهو الإنسان "شعر لوهلة بأن للأبقار في الحياة حظوظ متفاوتة فقد ذكرته الأبقار الراضية هنا الهانئة بأبقار السودان اليابسة العجاف الكادحة طيلة النهار لطلب الكلأ الشحيح من الأرض المحدبة "[3] فالخليج كان له المكان الآمن والمظلم في الآن نفسه فقد عمل فيها لكنه لم يعش فيها بقلب هانئ وإنما كان الحنين يحاصره دائما لأماكن صباه "مصر والسودان ".

توالى الروائي تمثيل معظم الأحداث عن طريق الأمكنة وهذه المرة بانتقال البطل إلى باكستان للعبور إلى أفغانستان والعمل كمصور في قناة الجزيرة ما يتجلى دهاء الكاتب في جعل شخصية البطل تعمل كمصور لنقل الوقائع المختلفة في حرب أفغانستان وتحديدا في قندهار وهي إحدى المدن الأفغانية الأكثر سكنا "إذا أردتم الساخن من الأخبار فعليكم بالإسراع إلى "قندهار " فقد بدا هناك القصف" [4] كما عمد الكاتب إلى ذكر خصائص هذه المدينة المدمرة وأثار القصف الذي نالته من الأمريكان "لا أشجار هنا ولا اخضرار من الجانبين تبدو جبال بعيدة يتحلق فوقها غبش لا هو بالسحاب و لا بالدخان"[5].

---

[1] الرواية، ص145.

[2] الرواية، ص146.

[3] الرواية، ص147.

[4] الرواية، ص205.

[5] الرواية، ص207.

هذا ما أثر سلبا وألحق الضرر بالبطل ومن هنا أصبحت حياته لا معنى لها، وبعد استمرارية التنقل من أجل تصوير الساخن من الأحداث عن طريق الكاميرا كان نصيبه الاعتقال إلى عدة سجون ليعقب زيدان على طرق تعذيب المسلمين خاصة، بدءا بسجن قندهار واصفا كيفية أخذه ومعاملته أسوأ معاملة على الرغم من أنه يتسم بالبراءة ويعكس هذا دور المراسلين الصحفيين وخطورة حياتهم "جاوبوه بضربة قاصمة على ظهره ألقته على وجهه وهو يصيح من ألم أفضى إلى الإغماء"[1] زد إلى ذلك فالمسلمين هم الذين ينالون العقاب الأكبر ليس فقط جسديا وإنما أيضا روحيا عن طريق تمزيق المصاحف أمام أعينهم استفزازا لهم "للجند هنا وسائل مزاح سافلة غير تمزيق المصاحف أمام المسلمين المقيدين منها ضرب المصلين بالعصي والأحذية وهم يؤدون صلواتهم وتعرية المسجون بالكامل لحسم رهان بينهم على حجم عضوه الذكري ولهم من وراء ذلك أفعال أشد فحشا وإيلاما مثل إطعام المساجين لحوم الخنزير وإلا فلا طعام غيرها والإمعان في سب الأمهات والأخوات بأسمائهن على مسمع من الأسير والمحيطين به ويتفننون في وصف ما سوف يفعلون فيهن حين يحضروهن إلى هنا ويفحشون بهن قبلا ودبرا أمام الناس"[2]، هذا يبين مدى المعاناة التي عاشوها والطرق الشنيعة التي عوملوا بها وقد أعطى زيدان مثالا آخر عن هذا من خلال إحدى الشخصيات "الشهر الماضي حصلوا من حافظة أسير شاب على صورة زوجته وأمه وجلبوه إليهم وهم يتناقلون الصورتين ويحكون عما سيفعلون بالمرأتين بينما الشاب يحاول صم أذنيه فيمنعه القيد فجأة جثا على ركبتيه وضرب برأسه الأرض كيلا يسمع هذا الفحش فشجت جبهته وتدفق دمه فوارا فلم يمكنهم إسعافه فكوه من قيوده وأطلقوا عليه النار أمام بقية السجناء وهو ميت"[3] وفي الرواية أمثلة مشابهة عن الواقع المعاش في هذه المعتقلات التي قلبت حياة البطل رأسا على عقب، فبعد هذا العنف الذي ارتكب ضده والاستجوابات التي تلقاها انتهى به المطاف إلى نقله لمعتقل غوانتانامو هذا الحيز الذي أنهى به زيدان روايته بنهاية مفتوحة .

---

[1] الرواية، ص222.

[2] الرواية، ص225.

[3] الرواية، ص، نفسها.

إنّ إنهاء الرواية الأولى من ثلاثيته الشهيرة "محال، جوانتنامو، نورا " بنهاية مفتوحة هو استراتيجية اعتمدها زيدان حتى يثير فضول القارئ لمتابعة قراءة رواياته أو مشاركته في تصور نهاياتها، ومعتقل جوانتنامو معروف بأساليبه الشنيعة في تعذيب السجناء وانعدام الأخلاق فيه والقيم الإنسانية "هذه الأرض التي هبط عليها ليست بأمريكا وإنما هي كوبا وهو معتقل رهيب يديره الجيش الأمريكي سرا اسمه جوانتنامو"[1].

يقارب "زيدان" تمثيل الواقع العربي في كثير من النقاط خاصة عن طريق الأمكنة لأهميتها عنده في مقاربته لهذه المواضيع الحساسة التي تتعلق بوقائع إجرامية حدثت في أماكن محدّدة أو بوصفها أماكن عبادة لها شأنها في المجتمع وما إلى ذلك، ويتضح هذا في اختياره لأسماء الأماكن عناوينا لفصول روايته "محال".

3.1. اللّغة واللّهجات:

لا ريب أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، وهو بحاجة إلى وسيلة تواصل وتفاهم مع أخيه الإنسان وهذا لن يتحقق إلى بواسطة اللّغة التي يستعين بها لأجل عن أفكاره وآرائه ويعرفها علماء الاجتماع بأنها " نظام من الرموز ملفوظة عرفية يتعاون ويتعامل بها أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة"[2] فاللغة أداة تربط أفراد المجتمع ويكون ذلك في التعبير عن شؤونهم المختلفة، أما عند علماء النفس فهي تعتبر أداة للتعبير عن الأفكار ونقلها من شخص إلى آخر، وهنا يفهم أن وظيفة اللّغة تقتصر على نقل الأفكار فحسب، وهذا خطأ بل اللّغة يتجاوز دورها حد التعبير عن الأفكار وهي أوسع من هذا إذ تشمل التعبير عن العواطف والمشاعر وهموم النفس ومخالجها وذلك بشتى الوسائل، وقد تستخدم في الغناء كما في القصص والحكايات، كما تساهم في توثيق الصلات داخل المجتمع الواحد و تقرب الأجناس المختلفة من بعضها البعض.

يختلف استعمال اللّغة من جنس لآخر ومن بيئة إلى أخرى وهو ما يصطلح عليه بتعدد اللّهجات " اللّهجة هي لغة الإنسان التي جبل عليها واعتادها ونشأ عليها وقد أطلقت اللّهجة على اللسان أو طرفه فهو آلة التحدث

[1] الرواية، ص244.

[2] عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، (د ط؛ القاهرة: دار الفكر العربي، 1998)، ص 24.

بها"[1] وهي تختلف بين المناطق، ويعتمد عليها مجموعة من الأفراد من بيئات اللّغة الواحدة كما هو الحال في اللّغة العربية التي ينطق بها جل الوطن العربي من دول الشرق الأوسط والخليج وحتى دول المغرب العربي، وعلى الرغم من هذا الرابط المشترك فهي تختلف وتتنوع حسب اختلاف البيئات العربية، فلكل منطقة لهجتها الخاصة التي تتميز بها عن غيرها. واكتسى موضوع اللّغة واللّهجات في الرواية العربية المعاصرة طابع الأهمية فغدوا الكتاب يلجؤون إلى إقحام اللّغة العامية واللّهجات المختلفة التي يتميز بها كل مجتمع عن غيره، هذه القضية أفرزت فريقين الأول مؤيد لهذه الفكرة والتي ينتج عنها ذلك التنويع اللّغوي الذي يتجاوز الفصحى إلى العامية في كل تجلياتها مثل الطاهر وطار ومحمد شكري وغيرهم، والثاني هم المعارضون الذين يرون أن هذا الخلط بين العامي والفصيح يؤدي باللّغة العربية الفصيحة إلى الاندثار والزوال وتجلى ذلك في أعمالهم مثل: عبد الحميد بن هدوقة الذي جعل شخصياته الأمية تتحدث بالفصحى السليمة.

على الأغلب يعتبر إدخال اللّهجات الأخرى في الرواية أسلوب من أساليب الكتابة المميزة فالروائي بذلك يعمل على تجسيد هذا التنوع اللغوي والثقافي الذي تفرع من اللغة الأم "لغة القرآن" وكذا إظهار الاختلافات الاجتماعية والثقافية بين الشخصيات وإبراز البيئة التي جعلها مسرحا للأحداث.

يمكن استخدام اللّهجات للتعبير عن ثقافة المجتمعات المتعدّدة وذلك من حيث استعمال الكلمات والعبارات الخاصة باللهجات المحدّدة لتجسيد الشخصيات والمجتمعات، ويقصد باللّهجات تلك التنوعات والتغيرات في اللّغة والناجمة عن العوامل الجغرافية والبيئية والاجتماعية وكذا الثقافية "اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة وبيئة هذه اللّهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل بضم عدة لهجات"[2] وأحيانا تتعدّد اللّهجات حتى في البلد الواحد

[1] عبد الغفار حامد هلال، اللّهجات العربية نشأة وتطورا،(دط، القاهرة: دار الفكر العربي، 1998)، ص24

[2] إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية (ط9، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ،1995م)، ص16

و"اللهجة هي لغة الإنسان التي تعلمها من أهله واعتادها ونشأ عليها "[1] كأنها موروث يتوارثه جيل عن جيل على حسب مكانه الجغرافي الذي ينتمي إليه.

على الرغم ممّا تحمله اللغة الفصيحة من أدبية ورُقي، فإن الكاتب يحتاج أن يستخدم اللّهجة العامية في الحوارات السردية حتى يعطيها طابعا شعبيا" أي محاولة لاستخدام اللغة الفصيحة في حوار شخصيات تتحدث بالعامية هو تزييف للواقع وترجمة غير أمينة له"[2]؛ فالحوار السردي في الروايات يعكس بدقة الواقع المعاش، وتبادل الشخصيات لأطراف الحديث بلهجات بلدانهم وأن " استخدام اللّهجات المحكية في الرواية العربية أعطاها ميزة وأصالة دفعت بالرواية العربية إلى مصاف الروايات العالمية بقدرتها على رصد الحياة العربية وتحولاتها دون تدخل فج بتقويل الشخصيات البسيطة لغة ليست لغتها "[3]. ويعمد الروائي إلى هذه التقنية لأسباب عدة منها لجعل الرواية أكثر واقعية، والتعريف باللّغة العامية التي تخص منطقة معينة، وغالبا ما يستعين الكاتب بعامية بلده واللّهجات التي تتميز بها كل منطقة في حوارات شخصياته حتى يحافظ على واقعية الأحداث وهوية الشخصيات، وليكون تعبيره عن الواقع حقيقيا ويصدقه القارئ بسهولة.

تعتبر رواية مُحال خير مثال على هذا، فزيدان استطاع أن يجمع بين اللّغة الفصيحة والعامية المصرية وبعض لهجات البلدان التي انتقل إليها البطل وكأنه بذلك يبرر مقولة علاء الدين محمود: "هنالك عوامل موضوعية تقتضي استخدام اللهجات المحلية في كل منطقة، فهي تنتمي إلى بيئة وتعتبر لغة النقاشات والحوارات اليومية في الواقع الاجتماعي"[4] حيث عمد زيدان إلى تحريك شخصية البطل بين البلدان العربية من السودان إلى مصر، دبي وقطر وحتى غير العربية كباكستان وأفغانستان، التي يجمع بينها الرابط الديني بالتالي تكون مطلعة على لغة القرآن إذ

---

[1] محمد الورياغلي، "اللّهجة: تعريف اللّهجة لغة واصطلاحا/ الاستعمالات"، https://www.faouaid.com 24 يونيو 2020م.

[2] عمر أبو الهيجاء،"الرواية واستخدام اللهجات العامية "، https://www.al-watan.com، 28 ماي2018م.

[3] المرجع نفسه.

[4] علاء الدين محمود، " اللّهجات المحلية.. هل تفسد الأدب"، صحيفة الخليج، https://www.alkhaleej.ae، 04 ديسمبر 2020م.

أشار إلى تعدد القبائل والجماعات في البلد الواحد بدءا بمصر" أسوان يسكنها النوب والعرب والرّيفاوية، وكل قوم منهم بما لديهم فرحون وبأصول جماعتهم يعتدون النّوبيون منهم جماعتان كبيرتان، الفجكي والمتّوكي وكلتاهما تقول أنها أصل النوبة والأكثر أصالة من الأخرى جماعة الفجكي هما الأكثر عددا وامتدادا على ضفتي النيل ..."[1] ولكل جماعة من هؤلاء لهجته الخاصة التي تجعله منفردا عن غيره وهو ما يمكن التماسه على لسان البطل في قوله "لهجة السائق تدل أنه نوبي من جماعة (الفجكي) .."[2].

يرجع هذا التّباين بين اللّهجات إلى الاختلاف الصوتي الذي "يلعب الدور المهم في اختلاف اللّهجات وتنوعها، واللهجة اتجاه منحرف داخل اللغة، وكل من اللغة واللهجة تتصلان بالصوت فاللغة ترتبط به من حيث إفادة المعنى واللهجة من حيث صورة النطق و هيئته "[3] وهذا الأخير يعود إلى مجموعة النقاط منها اختلاف النطق لبعض الأحرف، فهناك من اللّهجات ما تعتمد على ترقيق الحرف كما هناك من تقوم بتضخيمه، وأبسط مثال على ذلك حرف "القاف" في العربية حيث أن أغلب اللّهجات ومنها المصرية تنطقه حرف ألف عوض القاف وهذا يرجع إلى طبيعة المكان الذي تتواجد فيه الشخصيات، ضف إلى ذلك الاختلاف في مخارج الأصوات كحرف الجيم في العربية فهو يختلف تماما في اللهجة المصرية ففي الأول يكون وسط اللسان والثاني من أقصاه دون نسيان تباين النغمة الموسيقية للكلام على حسب البيئات والقبائل المختلفة يقول فندريس: "إننا نجد فروقا ذات بال بين قرية وأخرى حتى ليمكننا أن نميز لهجة كل قرية منها بوصف مخالف لغيرها من حيث الصوتيات ومن حيث النحو ومن حيث المفردات "[4] ما يريد زيدان ايضاحه من خلال الإشارة إلى لفظة زول والتي يستخدمها السودانيين في لهجتهم "الناس هنا تسميه الزول وهي لفظة تعني في كلام أهل السودان الرجل بعضهم يصغرها للتدليل فيجعلها زويل

---

[1] الرواية، ص24.

[2] الرواية، ص 14.

[3] عبد الغفار حامد هلال، اللّهجات العربية نشأة وتطورا، ص26.

[4] فندريس، اللّغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد قصاص، (القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي، مكتبة الأنجلو المصرية) ص310.

كأنهم يريدون دوما أن يذكروه بأصله فأوجدوا له تسمية تميزه"[1] هذا يوضح تغير المفردات من لهجة إلى أخرى إضافة إلى أن البطل الذي مثله زيدان عرقه مختلط فهو من أب سوداني وأم مصرية "أصوله عربية خالصة فأبوه من جماعة الجعليّين الساكنة شمال السودان وأمه جعفرية كان أهلها يسكنون مصر مع بقية الجعافرة ثم تزحزح بعضهم جنوبا فصاروا بالصدفة تحت حدود السودان وأصبحوا بعد حين يعتزون بأنهم سودانيين ويفتخرون " [2] وهذا المزيج هو الذي أكسبه الاحتكاك والتعرف على لهجات أخرى غير لهجته السودانية .

تمكن الروائي من الإلمام بمعظم اللّهجات التي تعرف عليها البطل خلال ارتحاله من منطقة لأخرى، كما عمد للتعريف باللهجات القديمة واختلافها عن المعاصرة منها من خلال ذكره لنوع ثقافات معينة تعكس هذا الاختلاف "سار مسرعا نحو المحطة وهو يترنم بأغنية نوبية قديمة مبهمة الكلمات "[3] إذ أنّ اللّغة القديمة دائما ما تكون غامضة وغير مفهومة لأنها غالبا ما تأتي من السكان الأصليين للمنطقة قبل أن تطرأ عليها بعض التغيرات الاجتماعية كدخول الغرباء لتلك المنطقة لغرض ما، والذي يؤدي إلى التنويع في الكلمات وكذلك ابتداع الأشياء وظهور تسميات جديدة، لذلك لا تلبث اللغة أو اللهجة الأولية للمنطقة إلا وتزول والأغاني بدورها غالبا ما تحتفظ على التراث القديم "الظروف الاجتماعية في البيئة الواحدة قد تولد أنواعا من اللهجات الخاصة"[4].

توالى إيضاح الفروقات الصوتية في "محال" من شخص إلى آخر، فالعربي يختلف عن الأجنبي في نطقه العربية والعكس صحيح وهذا ما ظهر في أحد المقاطع السردية "يقول بعربية المعاجم "حلال حلال "[5] كما أبان هذا المزج بين اللّغات واللّهجات المتداخلة، ومثل هذا بشخصية نورا والبطل أين كشف عن الآثار التي يخلفها الاستعمار في كل بلد، ومصر كونها مستعمرة من طرف بريطانيا فمعظم الشعوب المصرية لازالت تتداول بعض الكلمات

---

[1] الرواية، ص 35.

[2] الرواية، ص 24.

[3] الرواية، ص 15.

[4] إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربية، ص20.

[5] الرواية، ص20.

الإنجليزية فيم بينهم "حيته في طريقها إلى سلم الباص بقولها "هاي" فردّ من دون تردد ما استدعى إلى وجهها الابتسام هاي ورحمته وبركاته"[1] فالاستعمار له تأثيره على اللّغة الأصلية للشعوب المستعمرة التي ظلت حية و في تطور دائم وهذا ما حاول زيدان أن يبينه من "هاي ورحمته وبركاته" وكأنه يقوم بتذكير القارئ العربي بهويته الأصلية الإسلامية لذا تعد الكتابة أحيانا عاملا من عوامل ترسيخ اللّغات.

إنّ مهنة البطل تلك التي كانت في مجال السياحة والتي تتطلب بكل تأكيد ذلك النوع من الاحتكاك بالأجانب هو ما أفضى إلى التعرف على أقوام من بيئات وأماكن مختلفة فالاتصال البشري له دور في الاطلاع على لغات أخرى حتى يمكنهم التفاهم والتواصل بالأخص أن الحياة الاجتماعية تحتاج إلى صلات وروابط بين الأفراد والجماعات والشعوب "فالباحث يرى أن هذه الاتصالات البشرية للمنافع أو للسيطرة واتصال اللغات نتيجة لذلك يعد عامل من عوامل اختلاف اللغات عن أصلها لما يفرقها إلى لهجات"[2] هذا الاختلاف هو الذي أدى إلى تفرع العربية إلى لهجات كالمصرية والسورية والخليجية إذ كلما اختلفت الرقعة الجغرافية تختلف اللغة " فإذا انتشرت جماعة لغوية تعيش في مكان معين على أرض واسعة تختلف طبيعتها فان ذلك يؤدي إلى انشعاب لغتها الواحدة إلى لهجات وإذا كانت البيئة تؤثر على سكانها جسميا وخلقيا ونفسيا كما هو الواقع فإنها كذلك تؤثر على أعضاء النطق وطريقة الكلام "[3] فلكل شعب طريقته في العيش والتفكير التي يتميز بها عن غيره من الشعوب الأخرى، فالمجتمع العربي غير المجتمع الفرنسي والإنجليزي ولكل واحد سماته الثقافية وعاداته وتقاليده التي تميزه عن الآخر؛ لذلك عمد زيدان إلى تحريك شخصية البطل عبر مُحال ليتمكن من رصد الفروقات اللّغوية فيها وكيفية تأقلمه مع الوضع دون مواجهته لعراقيل بسبب اللّهجة المختلفة والذي يعود إلى خبرته في المجال السياحي ". لا أظن، فإن لهجتك بريطانية خالصة وتبدو مهذبا.

---

[1] الرواية، ص28.

[2] عبد الغفار حامد هلال، اللّهجات العربية نشأة وتطورا، ص35.

[3] المرجع نفسه، ص33.

. مجاملة مقبولة، ولكن الواضح أنك استفدت كثيرا من عملك بالسياحة وعرفت اللغات واللهجات "[1].

كذلك أثناء تواجده في الخليج التقى بشخصية فواز السورية والتي لم تشكل له إشكالا في التواصل معه بسبب اللّهجة المغايرة " في البلدة القديمة كان فواز ينتظرهما وحوله طفلاه يلعبان أمام باب بيت لا طوابق فوقه وحين رآه رحب به ممازحا أهلين و سهلين يا أبو بلال" [2] والشيء نفسه عندما انتقل إلى أوزبكستان للعمل كمحاسب أين تعرف على شخصية عليشير وكأن زيدان أراد التنويه إلى مثل هذه البلدان الإسلامية غير العربية والتي تتقن اللغة العربية وتدرسها "في ابتداء الجولة سأل عليشير عن المكان الذي تعلم فيه العربية فأجابه بأنه خريج الجامعة الإسلامية التي تدرسها وهو يقوم بتدريسها الآن للطلبة في دورات ينظمها المركز الثقافي المصري بطشقند "[3] كما أن معظم الأوزبك يتحدثونها "كلهم أوزبك استقبلوه بحفاوة وترحاب وراح بعضهم يكلمه بالعربية الصريحة و بعضهم الآخر بلهجة المتعلمين"[4] فعامل المجاورة يؤثر كثيرا في تداخل اللغات وهذا الاتصال الوثيق يؤدي إلى اتصال لهجاتهم بعضها ببعض زد على ذلك " تطور اللغة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي يعد أمرا مثاليا لا يكاد يتحقق في أية لغة بل على العكس من ذلك فإن الأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها كثيرا ما يلعب دورا مهما في التطور اللغوي"[5].

إنّ ترحال البطل لعدة مناطق أبان طريقة كلامهم ولهجاتهم فحاول زيدان عرضها؛ فمدينة طشقند مثلا تطرق لوصفها كما أفصح عن اللّغات التي يتحدثون بها "طشقند رحيبة واسعة الشوارع أهلها يتكلمون الأوزبكية والروسية ولا يعرفون العربية لكنهم يعتقدون أنها لغة مقدسة لأنهم يرون العبارات القرآنية مكتوبة بلغتها"[6] وهذا

---

[1] الرواية، ص 237.

[2] الرواية ،ص181.

[3] الرواية، ص164.

[4] الرواية، ص180.

[5] فندريس، اللغة، ص348.

[6] الرواية، ص154.

التنوع نتج عن عوامل عدة فالأوزبكية لأنها تقع في أوزبكستان أما الروسية فهي التي تستخدم على نطاق واسع في البلاد وذلك نسبة للتأثير القوي للاتحاد السوفياتي سابقا، وعلى الرغم من أنها ليست دولة عربية فإنها تستخدم اللغة العربية لأنها مسلمة وهي لغة القرآن، ومعظم سكان طشقند يعتنقون الإسلام كدين رئيسي والإسلام بهذا يؤدي دورا هاما في الثقافة والحياة اليومية للنّاس في طشقند ويضيف " مكتوب على واجهته المرتفعة بالعربية والروسية والأوزبكية الإدارة الدينية لمسلمي أوزبكستان ووسط آسيا "[1] فطشقند يعتمدون هذا المزج بين اللغات واللهجات الثلاث حتى في الأماكن الرسمية والعربية التي تتماشى مع الإسلام بصورة دائمة لذا نجدها بكثرة في معظم المناطق الآسيوية "كثير من الكلمات الأوزبكية عربية الأصل"[2].

إنّ رابط النسب والمصاهرة له دوره الفعّال في تبادل اللّهجات وتطورها، وهو ما يتضح من خلال زواج والدي البطل وهما من جنسيتين مختلفتين الأب سوداني والأم مصرية، وحتى البطل بحد ذاته كان ينوي الزواج بفتاة من النوبة التي تقع جنوب مصر قبل تعرفه على نورا وهي من الإسكندرية أي من غير بلده، وهذا العامل هو الذي "يؤدي إلى اختلاطهم وقوة الاتصال بينهم ولذلك أثره في التقريب بين اللهجات وظهور لغة عامة تتخلص من السمات التي تنفرد بها كل لهجة "[3].

اتخذ الروائي من العامية المصرية الحيز الأكبر في حوارات رواية محال، وهذا مايخدم هويته كمصري وانتمائه لهذه اللّهجة، وللتذكير فإنّ البطل أيضا ذو جنسية مزدوجة لذا معظم الحوارات نجدها بالمصرية "خلاص ياعم أنت حر بس رجع لها الفلوس بسرعة علشان تلحق تلاقي غيرك"[4] وغيرها من النماذج التي تبرز هذه اللّهجة التي تكتسح ساحة الرواية والمعروفة عربيا فحتى في السجن الذي سجن فيه البطل والتقائه بالعديد من الناس الذين اعتقلوا من

[1] الرواية، ص167.

[2] الرواية،ص، نفسها.

[3] عبد الغفار هلال حامد، اللّهجات العربية نشأة وتطورا، ص57.

[4] الرواية، ص16.

بقاع مختلفة حرص على إعطاء الأولوية للشخصية المصرية في الظهور من بينهم "انفجر في الزنزانة المقابلة سجين مصري الصوت كاد يقذف قلبه من شدة الزعيق وهو يقول ايه يابشر ايه يارب العالمين انت نسيتنا هنا ولا ايه انت فين يارب "[1].

إنّ استخدام اللّهجات داخل الرواية أضاف لها طابع الأصالة والتميز بالواقعية، كما ساهم في تقريب المجتمعات العربية من بعضها البعض من خلال هذا الدمج بين اللّهجات، بالإضافة فإن ذكر لهجات أغلبية البلدان يعطي للكاتب مساحة خلق لغة داخل لغة وتوصيل الأفكار للقراء مباشرة دون غموض أو تعقيد.

[1] الرواية، ص234.

الفصل الثالث: الواقع السياسي الديني في مُحال

1 . القضايا السياسية في رواية مُحال.

2 . الشخصيات الممثلة للواقع السياسي في مُحال.

3 . التواطؤ والاستبداد: بوابة التدخل الأجنبي في الشؤون العربية.

4 . الدعوة إلى الجهاد.

5 . التطاول في البنيان.

6 . الإحسان إلى الفقراء.

7 . الزنا والنفاق الدّيني.

الواقع السياسي الديني في مُحال:

يشكل الواقع العربي لـ "يوسف زيدان" المرجع الأساسي الذي يستمد منه أفكاره ورؤاه في روايته مُحال، وهو بذلك "يمثل دور الأديب الحضاري الذي يبحر في واقع شعبه من أجل مجتمع أفضل تسود فيه العدالة الاجتماعية"[1] فلا يخفى الدور الفعال للأدب الذي يعكس الواقع بمختلف مجالاته الاجتماعية والدينية والسياسية، محاولا بذلك كشف وتصوير الواقع السياسي المرير للبلدان العربية خاصة، والتي تعاني من نظام تسوده حالة من التفكك وعدم استقرار الأوضاع، وفي هذا الصدد يقول صالح غالب: "يعيش العالم العربي حالة من الضياع والتفكك نتيجة انسداد آفاق الحلول لمشاكله السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتورط النظام العربي والجامعة العربية في المشاريع الخارجية والرضوخ التام لمشيئة الغرب"[2].

كان الأدب وما يزال أداة للوعي السياسي، إذ يسهم في التعبير عن قضايا المجتمع السياسية وتسليط الضوء عليها بإبراز مختلف صور القمع والاضطهاد والقهر السياسي الذي يعاني منه الإنسان العربي، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على العلاقة الوثيقة بين الأدب والسياسة والتي تتمثل في رصد حقائق الواقع السياسي ونقده، بمحاولة تجاوز كل الخيبات والتصدعات التي تؤثر على المجتمعات العربية وطرحها من خلال العمل على التغيير للواقع الراهن، وتحقيق العدالة الاجتماعية بالحفاظ على حرية الفرد العربي والمبادئ الإنسانية عموما. وفي السياق نفسه يصرح "أحمد محمد عطية" في مقدمة كتابه "الرواية السياسية" قائلا: "يرمي هذا الكتاب إلى تأكيد الصلة الوثيقة بين الأدب والسياسة وإلى إبراز الأدب كأداة من أدوات لعزل الأدب عن السياسة لأن هذا طريق لعزل الأدب عن دوره في إنارة وعي الجماهير بحقيقة أوضاعها السياسية والاجتماعية "[3] بمعنى أن السياسة تعتبر موضوعا خصبا

---

[1] أحمد دوغان، في الأدب الجزائري الحديث، (ط 1، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1996) ص124.

[2] صالح غالب، "الوضع العربي الراهن والتفكك الذي يعيشه العالم العربي...أين ذاهبون كعرب"، https://sputnikarabic ، 14 أفريل 2019 م.

[3] أحمد محمد عطية، الرواية السياسية، (د.ط ، القاهرة : مكتبة مدبولي) ،ص12.

للأدب، إذ لا يمكن فهمه أو دراسته بمعزل عن ظروف إبداعه السياسية والاجتماعية، "فالسياسة كظاهرة من ظواهر الواقع تتأثر باهتمام الفنان في ظروف معينة وإن كانت تبدو متباينة ظاهريا، غير أنها ترتبط فيما بينها من صلة مادام أي تغيير يصيب الواقع ويؤدي إلى إحداث نقلة فيه"[1]، وبالتالي فإنّ فكرة إلغاء دور الأدب في التعبير عن القضايا السياسية تعدّ فكرة خاطئة وفيها إجحاف لفن الأدب خاصة أن الأديب ابن بيئته فمن الطبيعي أن يعمل على نقل قضايا مجتمعه، والتعبير عن شؤونه، ومساندته في المطالبة بحقوقه ونشر الوعي للقضاء على كل أشكال الفساد والظلم وبالتالي السعي لنيل الحرية وتحقيق الديمقراطية بين أفراد المجتمع.

يذهب "صالح سليمان" لوصف هذه العلاقة فيقول: "إنّ علاقة الأدب بالسياسة علاقة جدلية ومتواصلة طالما وجد الأديب نفسه داخل مجتمع معين يعبر من خلاله عن دوره وحقوقه ومكانته ويبحث بشكل دائم عن حريته وإنسانيته"[2].

بهذا تكون السياسة قد تغلغلت في جميع نواحي الحياة بما فيها الأدب، الذي اتخذها كمادة أساسية يحاول من خلالها معالجة مختلف قضاياه سواءً كانت وطنية أم قومية أو حتى عالمية.

تعدّ المواضيع السياسية من بين أهم النوى التي تعتمد عليها الرواية العربية لتمثيل الواقع العربي بوصف السياسة كيان تقوم عليه الدول والواقع بشكل عام والسياسة قد "غدت المحرك الأول لمسيرة البشر في أي مجتمع فهي التي تحدد أصول الحكم وتنظم شؤون الدولة " [3] لذا فإن الروائي يهتم بمثل هذه المواضيع التي تزيح الغطاء عن الحقائق السياسية التي تبدو وكأنها تخدم مصالح الشعب والحقيقة أنها تخدم صناعها.

---

[1] علي منصوري، "البطل السجين في الرواية العربية المعاصرة"، إشراف محمد العيد تاورکه، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب الحديث، جامعة لخضر، باتنة ،2007م، ص19.

[2] صالح سليمان عبد العظيم، سوسيولوجيا الرواية السياسية، (ط1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1998م)، ص40.

[3] جعفر همد، " الأبعاد السياسية في رواية خيط العنكبوت "، صحيفة الأنباط، https://alanbatnews.net الأردن، 06 سبتمبر 2022م.

شَهد الواقع العربي عدة أزمات سياسية سال القلم من أجلها وتحمّل الروائي مهمة التعبير عنها بأفكاره وهواجسه لإيصالها للقارئ بطريقة أو بأخرى، كيف لا وهو صاحب العقل المستنير الذي كتب كثيرا عن أحوال المجتمع العربي ومعاناته وقدّم مقترحات للخروج من أزماته. وتعكس رواية مُحال رؤية "يوسف زيدان" في شكل أحداث قامت الشخصيات بتحريكها في شكل "مجموعة من التقنيات والأدوات الفنية والجمالية، تساهم في إثراء التعبير الإنساني عن الأفكار والمشاعر وتجارب الواقع والذات"[1] وتسليط الضوء على النقاط الحساسة المتمظهرة في المجتمع العربي، لذا البعد السياسي له حضور كثيف في هذه الرواية ذلك لإعطائنا صورة حية لهذا الجانب من فترة التسعينات إلى بداية الألفينات.

يمكن للأديب أن يمزج بين مجالين مختلفين تماما كالسياسة والدّين، ليعبر عن رؤية أو ميول فكري، ما ينتج تلك العلاقة الجدلية والمتداخلة بين هذين الحقلين، فالسياسي غالبا ما ينتهج الدّين للوصول إلى مُبتغاه، وأحيانا أخرى يجد الدين واقفا في وجه مصالحه الشخصية ولعل دور الأدباء هنا هو الكشف عن هذه العلاقة واستحضار كل من السياسة والدّين في أعمالهم الأدبية، وهذا ما تجسد في رواية مُحال.

يشكّل توظيف الدّين في الأعمال الروائية المعاصرة تحديا فريدا من نوعه، كونه من الموضوعات الحساسة والمثيرة للجدل، ويحتل زاوية مهمة في التجربة الإبداعية، كما "شّكل رؤى لقضايا الواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي، وحَمل هموم ومسائلة الروائيين"[2] إذ أدرك هذا الأخير أنّ التجربة الدينية ليست مقتصرة فقط على موقف أو رأي أنتجه القدماء أو المعاصرون، إنما الكل له الأحقية في الأخذ والرد، بتعبير آخر "هي مادة معرفية قابلة لإعادة النظر وإعادة الإنتاج والتركيب بحيث تستجيب بدرجات مختلفة ليقين الروائي"[3]، من هنا

[1] جميل حمداوي، "الرواية السياسية والتحليل السياسي"، ديوان العرب، منبر حر للثقافة والفكر والأدب، 11مارس2008 .

[2] عبد الوهاب بوشليحة، اشكالية الدين، السياسة والجنس في الرواية المغاربية، (ط2، الجزائر: دار ميم للنشر،2020م)، ص54.

[3] المرجع نفسه، ص 55.

أصبحت مسألة الدّين لا تشكل عائقا في توظيفه في الكتابة الإبداعية لدى الروائيين وجعلها محورا أساسيا بارزا في الساحة الفنية " بل أصبحت تشكيلا فكريا وجماليا لقضايا العصر من زاوية دينية جديدة، ومفهوم جديد للدّين بعد أن تسلحت بآليات البحث والقراءة المعاصرة و المتقاطعة في الوقت ذاته مع طروحات الفكر الدّيني المتنور"[1] وبهذا يكون الدين قد اكتسح مكانة مهمة في أغلب الروايات المعاصرة وذلك لأغراض متعددة على حسب توظيفه من روائي لآخر.

وتجدر الإشارة إلى أن طرح إشكالية الدّين لا تتم بصورة كاملة إلاّ بعد طرح جملة من المفاهيم التي تتعلق بمصطلح الدّين و" صياغة الإشكالية صياغة جديدة جزء من تلك الإشكالية ذاتها، ولذلك يمكن القول بأنه لا يتم قيامها بصورة جديدة وموضوعية إلا عندما توجد جملة المفاهيم التي يصوغها في ضوء معطيات أنتجت في حقل معرفي جديد يستمد طروحاته من قراءة فعلية ومتفاعلة مع معطيات العصر"[2] منه فإن التعريفات كثيرة ومختلفة نظرا لتعدد المرجعيات.

إنّ الدّين عند العرب هو "وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات"[3] أما عند الغرب فيعرفه سيسرون: "الدّين هو الرباط الذي يصل الإنسان بالله "[4]، وهو تعريف مفتوح، يدخل فيه كل ما ليس من الدّين، أي غير جامع وغير مانع، ومن أشمل التعريفات، تعريف الأب شاتل:"الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق: واجبات الإنسان نحو الله، وواجباته نحو الجماعة، وواجباته نحو نفسه "[5].

---

[1] عبد الوهاب بوشليحة، إشكالية الدين، السياية والجنس في الرواية المغاربية، ص49.

[2] المرجع نفسه، ص49.

[3] محمد عبد الله دراز، الدين، بحوث ممهدة لتاريخ دراسة الأديان (ط1؛ الكويت: دار القلم، 2008م)، ص 33.

[4] المرجع نفسه، ص34.

[5] المرجع نفسه، ص.34

من خلال هذه المفاهيم يتضح بأن الدّين هو مجموعة من الأوامر والنواهي والإرشادات الموجهة من الله عز وجلّ إلى الإنسان، لضبط سلوكه وقيمه وتحديد مساره بتوجيهه إلى الطريق المستقيم والصحيح.

لقد لاحظ الدارسون أنّ الفقه هو المادة المشتركة والمجال الوحيد الذي تلاقت فيه مختلف الاختصاصات من أدب ولغة وعلم كلام وغيرها،" فالعلماء والمؤرخون والأدباء أسهموا في دفع آلية الرؤية الفقهية ومناقشة مختلف القضايا الفكرية والمعرفية التي أنتجها الواقع العربي"[1]، بمعنى أن الفقه بمثابة إطار فكري ومعرفي شامل في الثقافة العربية الإسلامية وهو ما يؤكده "محمد عابد الجابري" في قوله: " فإنما نريد من وراء ذلك تأكيد الحقيقة التالية: وهي أنّ الفقه الإسلامي، كان أقرب منتجات العقل العربي إلى التعبير عن خصوصيته"[2] وفي السياق نفسه يضيف: "إذا جاز لنا أن نسمي الحضارة العربية الإسلامية بإحدى منتجاتها، فإنه سيكون علينا أن نقول عنها إنها حضارة فقه"[3]، ما يوضّح الصلة الوثيقة بين حقلي الإبداع والدّين، لذلك " ما تستلزمه طبيعة العلاقة الافتراضية بين الأدب والحقل الديني، هو تحديث الذهنية وتحديث المعايير العقلية، والرؤية للعالم للإسهام في إنتاج رؤية عصرية تمتد إلى القطاع الأوسع من الأدباء والفقهاء، وتطال الحقل الأدبي والإبداعي لتنتج نظرية نقدية توجه الحركة التاريخية للإبداع باختلاف المرجعيات والمظاهر الجمالية للنص"[4] لهذا يشكل الدّين أحد العناصر التي يتوسل بها الروائي إلى فكرة معينة في ذهنه، ويكون السبب الذي من أجلها كتب روايته، إذ تختلف الغايات والأيديولوجيات في توظيفه، فهناك من يذهب للاستعانة به لأجل إرساء تعاليم الدّين وقواعده في نفوس القراء، وذلك ببسط مفاهيمه وتمثيله في الواقع المعاش بأسلوب فني، ويتم هذا سواءً بعرض الخرافات المتعلقة بالدّين ونقدها، أو عرض القضايا التي لا تتماشى والدّين من انحلال أخلاقي وغيرها ومن ثم تحليلها وتبسيطها، وهناك من يتّخذه للتشكيك

[1] محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، (ط4؛ بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1989)، ص97.

[2] المرجع نفسه، ص97.

[3] المرجع نفسه، ص96.

[4] عبد الوهاب بوشليحة، إشكالية الدين، السياسة والجنس في الرواية المغاربية، ص51.

في قداسته وقواعده، بتصويره بصورة مذمومة أو بوصفه سببا للنزاعات والحروب والفقر والجهل ...، ما يؤدي إلى إثارة حفيظة القارئ المتدين بالمقابل إرضاء القارئ غير المتدين" فالتراث الدّيني في قسم منه هو تراث قصصي، لذا وجد بعض الروائيين أن تأصيل الرواية العربية يقتضي العودة إلى الموروث السردي الديني والإفادة منه في التأسيس لرواية عربية خالصة "[1]، ضف إلى أنه يشكل جزءً كبيرا من ثقافة المجتمع العربي، لذا فإنّ أي معالجة للتراث الدّيني هي معالجة لقضايا الواقع العربي.

1. القضايا السياسية في رواية "مُحال":

يعرف الواقع السياسي لمعظم البلدان إخفاقا ملحوظا في مواجهة التحديات الكبرى والمتمثلة في عجزها بالحفاظ على استقرار الأوضاع الداخلية لها، وكذا تحقيق التنمية الاقتصادية المستقلة، ما أدى إلى تدهور المنظومة السياسية العربية خاصة، وانتشار الفساد في مختلف مؤسساتها، "فالنظام السياسي العربي غابت عنه القيادات التاريخية الوطنية وأصبحت كل أطرافه تعمل على تعميق ظاهرة التبعية، والتكيف مع المخططات الإقليمية والدولية، التي همّها الأول عدم وجود دور قومي عربي، لمواجهة تحديات المرحلة"[2] ويعدّ فساد النظام السياسي، من أهم الأسباب الرئيسية التي ساهمت في دمار وخراب الأمة العربية في جميع الأصعدة، وهو واقع مأساوي وخطير على حد قول المفكر "غالب صالح" هي: "غياب العلم والبحث العلمي في تأثير الدّين السياسي على المجتمعات وخاصة الدين السياسي ... ولا خروج من هذا الوضع، إلا باعتماد نهج المقاومة للتحرير، والتحرير لن يكون إلا بتكريس مفهوم المواطنة، ونشر الفكر والانتماء الوطني "[3] بحيث لابد أن تكون هناك فرص لتغيير هذا الواقع لتحقيق روح التضامن والتآخي بين شعوب هذه الدول كوحدة إقليمية تحكمها مبادئ مشتركة.

---

[1] محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، (د.ط؛ دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2002)، ص140.

[2] محمد جبر الريفي، "واقع سياسي عربي بائس وإرادة شعبية مأزومة"، https://hadfnews.ps، 31أكتوبر2023.

[3] غالب صالح، "الوضع العربي الراهن والتفكك الذي يعيشه العالم العربي...أين ذاهبون كعرب"،https://sputnikarabic، 14 أفريل2019م.

يركز "يوسف زيدان" على مجموعة من القضايا السياسية، ويكشف عن الصلات والعلاقات السياسية الكامنة بين عدة دول، بحكم تنقلات البطل المستمرة.

1.1. قضية مصر والسودان:

لعلّ أولى القضايا السياسية التي لمح لها الروائي هي قضية مصر والسودان في فترة التسعينيات، وانفصال كل منهما بعد نزاع دام طويلا، ويتضح هذا في الحوار الذي دار بين بطل الرواية وإحدى شخصياتها "الله يا بني أنت جنسيتك سوداني علشان تاخذ رخصة الإرشاد لازم تبقى مصري

أنا أمي مصرية، من الجعافرة

يا سيدي أهلا: بس المهم أبوك والجنسية "[1]، هذا ما يكشف عن طبيعة النزاع السياسي بينهما، وهي أنه لامتلاك الجنسية المصرية عليه أن يحصل على رخصة عمل في مصر. انبثق هذا الصراع منذ القدم لكن بدأ يتشكل تدريجيا إلى أن وصل إلى ذروته وعادة ما يكون النزاع الحدودي حول منطقة تقع في الحدود الفاصلة بين البلدان المتنازعة، وهذا ما حدث مع السودان ومصر حول "منطقة حلايب"، "ويقصد بالنزاع الحدودي نزاع دولي ينصب بشكل أساسي على المسار الصحيح للخط الفاصل بين دولتين، ويتضمن إدعاءات متعارضة حول السيادة على المناطق الجغرافية الواقعة على جانبي الحدود موضوع النزاع "[2].

و"تشير المراجع التاريخية إلى أن المرة الأولى التي أُثير فيها النزاع الحدودي بين مصر والسودان حول حلايب كان في يناير عام 1958 م "[3] أي أنّ العلاقات تدهورت منذ القدم.

---

[1] الرواية، ص85.

[2] أيمن سلامة ، "النزاع المصري السوداني حول حلايب وشلاتين " ، https://www.alarabiya.net 6 مارس 2020م.

[3] المرجع نفسه.

عاد هذا النزاع مجددا بين السودان ومصر، ولعل زيدان استحضر هذه الفترة في مُحال ليكشف عن سباق الحكام في السيطرة على مناطق البترول وإشباع مصالحهم بثرواته " عام 1992 إعترضت مصر على إعطاء حكومة السودان حقوق التنقيب عن النفط في المياه المقابلة لمثلث حلايب لشركة كندية، ثم قدم السودان مذكرة لمجلس الأمن والاتحاد الإفريقي وجامعة الدول العربية عام 1993 يشتكي من غازات جوية على حدوده "[1].

يمكن القول ان "زيدان" مثّل الواقع تمثيلا دقيقا، كما أن هذه الحادثة الماضية مازالت تتكرر مثلها في الحاضر، وهذا نوع من توعية المجتمعات من خلال كشف العلاقات السياسية التي تجمع رؤساء الدول العربية، والنزاعات التي تحدثها حين الوصول لمصالحهم الشخصية وما يخدمها، وهذا يظهر بصورة أوضح في مقطع في رواية محال يقول فيه زيدان "تحن على الوحيد المغترب حين تستخف بالمسافات، وتستهين بتلك الحدود المرسومة لفصل المتصل بين مصر والسودان. الحدود. فوق الأوراق يرسمها الساسة بحسب المصالح والأهواء، ثم يزرعون عندها السياج وينثرون حولها المسلحين فتمسي حائلا لا يحول ولا يزول، إلا بالإذن أو بالسلاح "[2]. ما يعني أن الساسة العرب يرسمون الحدود وفقا لمصالحهم الشخصية وأهوائهم، ومن ثم يدعمونها بالحواجز العسكرية، وهو ما يجعلها عائقا كبيرا لا يمكن تجاوزه إلا بطرق رسمية أو بالقوة، وهي في رأي الكاتب حدود مصطنعة تفصل بين الشعوب التي ترتبط فيما بينها بروابط مشتركة وهو ما يبرز التناقض بين طبيعة العلاقات الإنسانية وطبيعة الحدود السياسية.

2.1. حرب الصومال "معركة مقديشو":

تغمرنا الرواية بطابعها الواقعي للأحداث، فيوسف زيدان أعطى المجال للقارئ أو الباحث في طيات هذه الرواية لجمع الوقائع من خلال ذكرها، وربط الأحداث بتواريخها ليُسّهل العودة إليها، ويقول: "بعد أسبوع من

[1] منى عبد الفتاح، "ما وراء تجديد السودان شكواه في مجلس الأمن حول حلايب"، https://www.indepentedarabia.com 28 يناير 2022م.

[2] الرواية، ص09.

سكناه الإسكندرية قرأ عند باعة الصحف، أخبارا محزنة عن طائرة أمريكية، قصفت الناس في الصومال صبيحة اليوم الثاني من شهر يونيو وقتلت منهم خمسين"[1] وبالمقارنة مع الواقع المعاش فيوسف زيدان مثّله من خلال شخصيات وأحداث الرواية، بأساليب سردية متنوعة.

قامت أمريكا بقصف الصومال والتي دفع بهذه الأخيرة الرد عليها في هذه المعركة "مقديشو" التي لم يصرح الكاتب باسمها، إذ" نشرت الجرائد يوم الثالث من أكتوبر أنّ الصوماليين أحاطوا بالأمريكيين، وأسقطوا لهم مروحية عسكرية اسمها (الصقر الأسود) وقتلوا من جنودهم قرابة العشرين، وأصابوا العشرات ... ثم أدرك بعد يومين، أن الأمريكيين قتلوا في ذلك الحادث سبعمائة من مسلمي الصومال"[2]، فأمريكا كانت ومازالت العدو اللّدود لكل بلد يزخر بثروات وخيرات يمكن الاستفادة منها، والتي ينبني عليها الاقتصاد العالمي.

جاء التدخل الأمريكي في البداية تحت شعارات كثيرة من بينها المساعدة الإنسانية وحفظ الأمن والسلم العالميين، وعليه تقول السفيرة الأمريكية لدى الأمم المتحدة مادلين أولبرايت:" يتعين علينا الإبقاء على المسار والمساعدة في دفع البلد وشعبه من فئة الدول العاجزة، إلى دولة ديمقراطية ناشئة"[3] وكانت الحقيقة عكس ذلك تماما، بحيث فُضحت نواياها الحقيقية بعد هذه المعركة.

لقد شغلت هذه الحادثة العديد من المنابر الإعلامية والتلفزيونية، وتم تخليد هذه الكارثة في كتاب ألّفه مارك بودين تحت عنوان "سقوط الصقر الأسود"، وفي فيلم عام 2001 بالاسم نفسه.

3.1. مذبحة الدير البحري:

[1] الرواية، ص86.

[2] الرواية،ص، نفسها.

[3] موقف الأمم المتحدة من الحرب في الصومال https://www.moqatel.com.

في ظل التصدعات الداخلية، أشار زيدان إلى ما وقع في مصر عام 1997م، الذي "ملخصه أنّ مذبحة مروعة جرت صباحا بالأقصر في ساحة معبد الدير البحري، ذُبح فيها عشرات السائحين ..."[1]، أين تكتّمت الحكومة عن إعطاء تفاصيل مذبحة الدير البحري والتي راح ضحيتها ما يقارب خمسة وثمانون سائحا، "قالت جريدة الأهرام بوضوح، إنّ هذا الوزير الجديد، سوف يتبع سياسة التعتيم الكامل على الموضوع، ليعلن على الناس بعد أيام نتائج التحقيقات، ومضت شهور ولم يعلن أي شيء على لسان الوزير، ولا على أي لسان"[2] فبقيت المذبحة غير مفهومة، بحيث لم يتم الكشف عن هوية الفاعلين.

والمتأمل في هذه الحادثة يكتشف أنها كانت مفتعلة وعن قصد بالأخص أنّ القتلة ليسوا مسلمين كما رُوّج للأمر "ففي البدء قالت الصحف الحكومية والنشرات إن الفاعلين يهود، ثم عادوا عن ذلك بقولهم: بل هم إرهابيون مسلمون.. لكن لسهيل ابن عم اسمه مسعود يعمل ممرضا بمستشفى الأقصر، يقول وهو متيقن إن هؤلاء الإرهابيين ليسوا يهودا ولا مسلمين لأن جثثهم التي جاءت إليهم في المشرحة ورآها بنفسه، كان منها أربعة منها لرجال غير مختونين [3]" بالتالي كانت بمثابة مؤامرة لأجل تشويه صورة المسلمين.

لقد أثّرت هذه الحادثة سلبا على السياحة في مصر، كما تسببت في قطع أرزاق العديد من الناس واستمر الوضع لمدة طويلة نظرا لغياب الأمن والاستقرار في البلاد، بالإضافة إلى استقالة وزير الداخلية اللواء حسن الألفي من منصبه على إثر هذه المجزرة،" 23 عاما مضت على مذبحة الأقصر التي وقعت في مثل هذا اليوم 17 نوفمبر بمعبد حتشبسوت في مدينة الأقصر، وهي تعتبر من أبرز الجرائم الإرهابية التي شهدتها مصر في ال 3 عقود الأخيرة،

[1] الرواية، ص130.

[2] الرواية، ص137.

[3] الرواية، ص135.

وعلى إثرها أقيل اللواء حسن الألفي وزير الداخلية حينئذ كما أثارت ذعر المجتمع المحلي والدولي وأثرت بشكل سلبي على السياحة بمنطقة الأقصر إلى يومنا هذا"[1].

4.1. تفجير مسجد حي الثورة:

يكتسح حدث آخر حقيقي ثنايا الرواية، يتمثل في تفجير مسجد حي الثورة بأم درمان ارتبط هذا التفجير ارتباطا وثيقا مع شخصية محمد عبد الله الخليفي " عام 1994، ارتجت الخرطوم بأول حادثة إرهابية، استهدفت مسجد أبي زيد محمد حمزة بمنطقة الثورة في أم درمان وأسفرت عن مقتل 20 مصليا، وجرح أكثر من ثلاثين آخرين، وكان قائد الخلية الإرهابية المدعو محمد عبد الله الخليفي"[2] هذا الأخير شخصية واقعية وحقيقية كانت وراء هذا الانفجار، وبرز هذا حين تحدث عنها زيدان بكل وضوح "بأن الشيخ الليبي المختل (محمد الخليفي) قام قبل أسبوعين مع مجموعة من أتباعه المسلحين بالبنادق الآلية، بتفجير مسجد في حي الثورة بأم درمان، وأطلقوا النار على المصلين، آملين في قتل الشيخ عبد الغفار إمام المسجد، والشيخ السعودي أسامة بن لادن "[3].

ترتبط هذه الأحداث بظاهرة الإرهاب والتي عرفت انتشارا رهيبا لحاجة إعادة فكرة بعث الإسلام والتشدد فيه، لذلك أُعتبر الإسلام مرادفا للإرهاب في نظر الآخر "الغرب"، وأصبح الدين جريمة لدرجة أن الآذان مُنع في بعض

---

[1] نهاد القادوم،" تسببت في إقالة وزير الداخلية ..23 عاما مضت على مذبحة الأقصر الإرهابية "، https://www.shorouk news.com، 17 نوفمبر 2020م.

[2] محمد المبروك، "من الذاكرة السودانية.. هل يشهد الإرهاب انكسارا "، مركز المسبار للدراسات والبحوث، https://www.almesbar.net 26 أكتوبر 2020م.

[3] الرواية، ص89.

المناطق المسلمة، كطشقند الباكستانية "الذي يتدين هنا تسميه الحكومة (وهابي) وهي كلمة تعني إرهابي ولا جزاء لصاحبها "[1].

كانت شخصية بن لادن شخصية تشكل خطرا لدى كل بلد يدخل لها، فقد طُرد من وطنه السعودية بعد أن صرّح برفضه للوجود الأمريكي، وتصرفه في شؤون البلدان العربية خاصة السعودية، "لا يصح تمكين الأمريكيين من البلاد، بل يجب إخراجهم منها...تضايقوا هناك من كلامه، ثم انقلبوا عليه ونسوا ما كان منه ومنهم" [2]هذا الوضع الذي أدى إلى اختلاط السياسة بالدّين والدّين بالسياسة، ما جعل الأوضاع تعمها الفوضى والفساد في مختلف المؤسسات.

ظهر الإرهاب في السودان لأول مرة بتواجد أسامة بن لادن فيها، على حد قول الباحث السياسي محمد المبروك: "يرجع باحثون ومراقبون ظهور جذور الإرهاب في السودان إلى قدوم أسامة بن لادن إليها، ومعاونيه من المقاتلين من الأفغان العرب القادمين من أفغانستان بعد مشاركتهم القتال ضد الاتحاد السوفياتي"[3] وهذه الحركة الإرهابية نتج عنها سيلان دم العديد من الأبرياء، وكذلك التعدي على حرماتهم من دون وجه حق، وهذا من أجل غرض سياسي وإثارة الفتنة وسط هذه الشعوب المغلوبة لا غير.

الإرهاب ظاهرة شكلت هاجسا لدى كُتّاب الرواية المعاصرة، نظرا لشيوعها في فترة التسعينيات خاصة، فهذه الرواية بمثابة تأطير للأحداث الماضية، لتبقى حية راسخة لدى الجمهور القارئ مستقبلا.

5.1. حادثة تحطيم تماثيل بوذا "حركة طالبان":

[1] الرواية، ص137.

[2] الرواية، ص126.

[3] محمد المبروك، "من الذاكرة السودانية.. هل شهد الإرهاب انكسارا؟".

الواضح أنّ الواقع السياسي مشترك لدى العديد من الدول العربية، وحتى غير العربية بحكم الرابط الديني الذي يجمع بينهما، فما يحدث في الوطن العربي ما هو إلا امتداد لما يحدث في دول الجوار الإسلامي، كما الحال في أفغانستان وباكستان.

قام "يوسف زيدان" بتسليط الضوء على واقع هذه المجتمعات، برصد التناحرات ومختلف الصراعات العرقية، والطبقية والاجتماعية "الأفغان جماعات كثيرة وقبائل شتى، منهم بشتون وأوزبك وطاجيك، والبشتون قبائل كثيرة تسكن جنوب ووسط أفغانستان، ويتداخلون مع المسلمين في شمال باكستان... والوضع معقد بين هذه الجماعات المتناحرة مع أنهم جميعا مسلمون"[1] وهذه التفككات والانقسامات التي تعيشها الشعوب المستضعفة هو ما جعلها عرضة للتدخل الغربي.

في ظل الصراع مع الآخر، عمد "زيدان" للتطرق إلى ظهور حركة طالبان، والتي يقودها الملا عمر" تعني (الطلبة) لأنهم كانوا في الأصل طلابا للعلوم الشرعية، ثم صاروا قوة تطلب الحكم والسلطان ...ثم أصبحوا اليوم قتلة وفاتكين بالمعارضين"[2].

فكان هدفهم الأساس إعادة بعث الإسلام، بعد محاولة الغرب طمس معالمه، وتشويه صورته، وبالتالي التصدي لهذه المؤامرة مهما كلف الأمر.

أشار "زيدان" في هذا الشأن إلى حادثة تحطيم تماثيل بوذا، حيث "عزم زعيم حركة طالبان الأفغانية الملاعمر تدمير تمثالين هائلين، بمنطقة باميان الواقعة تحت سلطته، لأنهما يصوران (بوذا) المقدس عند غير المسلمين"[3] وعلى الرغم من النداءات الدولية، واستعطاف العالم له بالتراجع عن هذا الفعل، فهو لم يستجب، ويقول: "أن أبعث يوم

[1] الرواية، ص193.

[2] الرواية، ص208.

[3] الرواية، ص196.

القيامة محطم أصنام، خير من بعثي تاجر أصنام..."[1] وبهذا فقد شَرعت حكومة حركة طالبان في تحطيم جميع التماثيل الأثرية، التي لا ترمز إلى الإسلام في أفغانستان، من بينها تماثيل بوذا تنفيذًا لأوامر زعيمها الملاعمر.

في هذا الصدد يشير "بوشناقي" أثناء تجربته في أفغانستان، لملحوظة عن تدمير تمثالي بوذا الذين نجيا حتى من الغزو المغولي، "لقد كانت بمثابة سابقة لم يحدث مثلها في العالم الإسلامي، أن يكون هناك مثل هذا العمل التدميري"[2]، إذ أثار قرار زعيم حركة طالبان استفزاز العديد من ممثلي الدول، على رأسها الولايات المتحدة، وهو ما ورد على لسان أحد المتحدثين باسم الخارجية الأمريكية فيليب ريكر "إنّ الولايات تشعر بالانزعاج، جراء هذا القرار"[3]، بالتالي هذا ما زاد من حدة الصراع بين هذين الطرفين "الو.م.أ وطالبان"، هذه الأخيرة التي أبت الانصياع والرضوخ.

6.1. هجمات 11 سبتمبر "تنظيم القاعدة":

لقد أعطى "يوسف زيدان" حيزا كبيرا في هذه الرواية للحديث عن "أسامة بن لادن"، هذا الإنسان الذي شكل خطرا واضحا في كل دولة يتواجد فيها، مع أن الرواية وصفته في البداية بالرجل الطيب والنبيل المحب للخير، لتكشف الأحداث في نهايتها عكس ذلك تماما فكان الرجل الذي يحرض على أعمال العنف والقتل" قتل بعده بيومين ألوف الناس في أمريكا عندما سيقت طائرات لتصطدم عمدا بمبان وأبراج شاهقة، مات من الأبرياء كثيرون بينما جماعة (القاعدة) تهلل للأمر وتفرح، وراح زعيمها بن لادن ... يبعث بالرسائل التلفزيونية المريعة داعيا إلى

---

[1] الرواية، ص197.

[2] "ديفاجو مرة أخرى في أفغانستان: التفاوض مع طالبان الإنقاذ المواقع التراثية، https://www.inci.edu 21سبتمبر2021م.

[3] "طالبان تتعهد بالمعني في تدمير التماثيل البوذية"، hhps://www.aljazeera.net 08مارس2001م.

مزيد من القتل والتدمير وتدبير أعمال الموت .."[1] وعرفت هذه الحادثة باسم هجمات 11سبتمبر2001 التي لا تزال أحد الأحداث رعبا، ليس فقط بالنسبة للأمريكيين بل بالنسبة للعالم بأكمله.

وبناء على كل الأحداث التي جاءت في الرواية ومقارنتها بالواقع فالروائي "يوسف زيدان" كان حريصا على تمثيل الواقع من وجهة نظره ورؤيته للأحداث، ومن خلال نظرة البعض لأسامة بن لادن فكم من مؤيد له ولقراراته وكم من محايد، ومعارض له، فبعد طرده من السودان كما سبق الذكر كون بن لادن له علاقات وطيدة مع الملاعمر، وكان يدعم حركاته في أفغانستان، ولعل هذا التفاهم يعود لكون أهدافهم السياسية والدينية مشتركة، كالسعي وراء تأسيس نظام إسلامي متشدّد وفرض الشريعة الإسلامية بصرامة، وعمد زيدان إلى التطرق لمثل هذه الأحداث الواقعية وتوضيح خلفيتها ليتيح للقارئ فرصة لفهم دوافعهم و تصرفاتهم والتفاعل معها، ما يحيل إلى عمق هذا العمل الأدبي.

2. الشخصيات الممثلة للواقع السياسي في محال:

يَعطي "يوسف زيدان" مساحة للحديث عن المعارضين السياسيين من خلال التجسيد الواقعي للشخصيات المعارضة، والاستعانة بقصتهم ومصيرهم في الأخير.

إنّ راهن الأمة العربية والإسلامية المليء بالانتكاسات والنكبات، جعلها تتخبط في العديد من المشكلات، لعل أبرزها صراع المعارضة والحكومة، إذ "من الممكن أن تتعسّف الحكومة في استخدامها لسلطاتها وتنحرف عن تحقيق مصالح وأهداف شعبها لتصبح حكومة استبدادية فقيام المحكومين بالعمل على إعادة الحكام إلى جادة الصواب ووقف تجاوز الحكام على الحقوق والحريات، يشكلان مانعين يحدان من تسلط الحكام ووسيلتين لاستقامة

[1] الرواية، ص198.

الحكام"[1] من هنا يظهر ما يسمى بالمعارضة السياسية وهو موضوع يثير الكثير من الإشكاليات نظرا لاختلافه من نظام سياسي لآخر وعلى حسب طبيعة نظام الحكم.

يُعنى بالمعارضة السياسية حسب سربست مصطفى رشيد أميدي: "هي قوى وهيئات تعبر عن آراء ومصالح فئات اجتماعية، لها أهداف ومشاريع وخطط تختلف عن أهداف وخطط السلطة في تنفيذ خططها وبرامجها، فللمعارضة وسائلها الخاصة في الوقوف بمواجهة السلطات الحاكمة والوصول إلى تحقيق أهدافها" [2]وهذا يفتح المجال للفرد في ممارسة حقه في حرية التعبير وإطلاق العنان لإبراز شخصيته ومواقفه التي قد تتعارض مع مواقف أخرى سليمة كانت أو غير سليمة وتكون إما فردية أو جماعية. وفي السياق نفسه يضيف آميدي "هي الفعاليات والأنشطة المتمثلة بانتقاد الحكومة ومراقبة خططها وأنشطتها، ويكون ذلك من قبل القوى والهيئات التي تمثل المعارضة (العضوية) وقد يكون من قبل فئات وشخصيات من داخل الحكومة نفسها خاصة إذا كانت حكومة ائتلافية "[3] فتعدد الآراء واختلاف الأفكار بين الأفراد من الأمور البديهية، كذلك الحق في التعبير عن آرائهم والدفاع عن مصالحهم داخل المجتمع، ما يجعل دور المعارضة يقتصر على الحد من هيمنة السلطة على الحياة العامة وفرض القيود على الحقوق والحريات خصوصا السياسية منها، "فحقيقة المعارضة تعني التعبير عن الحق في توجيه النقد والمناقشة والتقويم لسلوك السلطة السياسية، وذلك استنادا إلى حق الاختلاف في الرأي واعتباره حقا مشروعا فمن المقبول تعدد المفاهيم والتصورات إزاء القضية الواحدة "[4] وعليه يصبح الاختلاف أمرا طبيعيا أمام قضايا الحكم والأزمات السياسية الموجودة.

---

[1] سربست مصطفى رشيد آميدي، المعارضة السياسية والضمانات الدستورية لعملها، (ط1؛ أربيل: مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، 2011) ص23.

[2] المرجع نفسه، ص 23.

[3] المرجع نفسه، ص 32.

[4] عبد الحكيم عبد الجليل محمد قايد المغبشي، المعارضة في الفكر السياسي والوضعي ـ مفهومها ـ أهميتها واقعها، (ط1؛ القاهرة: المكتب الجامعي الحديث، 2002)، ص23.

عادة ما تكون المعارضة السياسية ضد السلطة الحاكمة فهي بذلك تعد نوع من الرقابة على أعمال السلطة وتصرفاتهم اتجاه المجتمع، فمن المنظور السياسي لها دور فعّال في تحديث المنظومة السياسية، ويتجسد ذلك في نقل المعارض السياسي غالبا لآراء الشعب ومبتغاهم من طرف السلطة.

ووجب التنويه على أن هناك فئة معارضة يدخلون في صراع مع السلطة ضد مسايرتهم للنظام الدولي واقفين في أوجه قراراتهم بغية التشهير بأنفسهم أو بداعي الوصول إلى مصلحة شخصية معينة، فكم من معارض سياسي ناضل لإسقاط رئيس دولة ما وإبراز نفسه للالتحاق بعرش الحكم والاستيلاء على كرسي الرئاسة أو أي منصب آخر.

فيما يخص المعارضة السياسية في الدول العربية وفي سياستها اتجاه مختلف القضايا كالحريات وحقوق الإنسان هناك العديد من الأنظمة العربية التي مازالت تمنع ظهور الأحزاب المعارضة وتعمل على قمعها بشتى الوسائل بل تعدى الأمر ذلك إلى سجن المعارضين ونفيهم وتهجيرهم خارج البلاد، ومن هؤلاء:

- **منصور الكيخيا:**

يعتبر "منصور الكيخيا" معارضا ليبيا لنظام "القذافي"، كان يشغل منصب وزير الخارجية وممثلا في هيئة الأمم المتحدة بعد استقالته، حيث كانت آراءه تخالف الحكومة الليبية وموقفه المعارض للنظام جعله في صراع مع السلطة، وفي مؤتمر الجبهة الوطني لإنقاذ ليبيا وجّه الكيخيا رسالة إلى أحد حلفائه المعارضين يقول فيها: "وقد اِتخذت من جانبي موقفا لا لبس ولا غموض فيه سواء في اتصالاتي الخاصة أو في تصريحاتي العلنية ويمكن تلخيصه في النقاط التالية:

1. المعارضة في خندق واحد رغم خلافاتها وصراعاتها فنحن لا نقبل كلاما في الآخرين ولا نتحالف مع النظام ضد أي جناح من المعارضة ...

2. ضرورة الاعتراف بالمعارضة كل المعارضة حتى يمكننا النظر في حوار سياسي من النظام.

3. ضرورة الإفراج عن المعتقلين والسجناء السياسيين كلهم، وإصدار عفو تشريعي عام يشمل الجميع "[1].

شكّل أمام موقفه هذا خطرا وتهديدا لمصالح القوة الحاكمة الأمر الذي دفعهم بالتآمر عليه سرا واختطافه للقضاء على أي معارض يمس حدود السلطة وحاكمها أو يشكل تهديدا لمكانته، و"هوه جاي لمصر المرة دي علشان خطف راجل بيضايق القذافي المجنون بتاعهم، والموضوع هايتم بعد يومين بالاتفاق مع الأمن المصري، ومع الرجل الكبير"[2]، فمصر لها علاقة بهذه الجريمة غير الشرعية وهناك تواطؤ بين الطرفين وخاصة أنّ بعد هذا الفعل لم يكن هنالك أي رد فعل من مصر أو ليبيا "ولم يصدر وقتها لا الجانب الليبي ولا نظيره المصري أي بيان عن هذا الاختفاء القسري، غير أن دراسة أجرتها وكالة الاستخبارات الأمريكية لمدة أربع سنوات خلصت إلى أن عملاء مصريين قاموا بخطف الكيخيا وتسليمه للسلطات الليبية التي أعدمته "[3].

إنّ "يوسف زيدان" لم يقدم تفاصيل كثيرة عن "منصور الكيخيا" ولكنه اكتفى بتبيان أنه اختطف من طرف المخابرات الليبية "لابد أنه (الزفت) فقد ذكر لها الشهر الماضي صراحة أنه يعمل مع المخابرات الليبية"[4]، بالإضافة إلى رغبته في استكشاف علاقة المعارضين السياسيين بالسلطة، لهذا ركّز وسلّط الضوء على التحديات والصراعات التي تواجهها هذه الفئة من المجتمع، ورغبتهم في تحقيق التغيير الإيجابي وتعزيز المساواة والعدالة الاجتماعية بين أفراد الشعب.

[1] " عبد الرحيم عبيد، "منصور الكيخيا...ذهب إلى مصر ولم يعد"، قناة الجزيرة، 23 فيفري 2020.

[2] الرواية، ص 88.

[3] الكيخيا...اغتيال غامض لسياسي عارض "العقيد"، https://www.aljazeera.net 17 ديسمبر 2016م.

[4] الرواية، ص 106.

أراد "زيدان" أن يستشهد بهذا المثال الحي والذي يُمثل تعبيرا عن آلاف المعارضين الآخرين الذين يتعرضون للخطف والاغتيال جراء تصريحهم بآرائهم الحقيقية وانتقادهم للسلطة، ويعتبر هذا الاغتيال "عملية قتل منظمة ومتعمدة تستهدف شخصية مهمة ذات تأثير فكري أو سياسي أو عسكري أو قيادي ، ويكون مرتكز عملية الاغتيال عادة لأسباب عقائدية أو سياسية أو اقتصادية أو انتقامية تستهدف شخصا معينا يعتبره منظمو عملية الاغتيال عائقا لهم في طريق انتشار أوسع لأفكارهم أو أهدافهم "[1] وهو المبدأ الذي يقول: إما أن تخضع وترضخ أو أن تتحمل العواقب.

- **فواز تللو:**

يستمر صراع المعارضين مع السلطة وهذه المرة يتطرق "زيدان" إلى الوضع في سوريا والحرب الطائفية هناك، وانتشار التمييز الطائفي والعرقي بين مختلف أتباع الطوائف الدينية وأبناء الجماعات العرقية فيها، ويرجع هذا إلى التركيبة السكانية السورية الغنية بهذا التعدد الطائفي والعرقي ما جعل هذه الأطراف تتحارب فيما بينها، بالأخص حكم الطائفة العلوية الذي أثار سخط الطوائف والجماعات الأخرى "... أشار من دون سبب معلوم إلى بؤس أهل السنة السوريين بسبب سطوة العلويين الحاكمين الذين، حسب ما قال، ليسوا في حقيقة الأمر علويين وإنما ناصرية فاسقون يسمون حزبهم (البعث)، وينكرون البعث الذي أخبر عنه الدين القويم ..."[2] والمعارض لهذا النظام والمخالف لأوامر الطائفة العلوية الحاكمة تكون عواقبه وخيمة، وهو ما حدث مع شخصية فواز، وهو" سوري الأصل يعيش بالشارقة منذ عشرين سنة، ولا يستطيع زيارة موطنه لأنه كان مع ابن عم له يعارضان الحكومة هناك ولا يتورعان في فورة الفتوة عن الكلام في السياسة "[3]، وكان موقفه المعارض للحكومة سببا في نفيه من وطنه، فهو

---

[1] أمنية السيد حجاج،" الإغتيال السياسي: تاريخ من الصراعات الأيديولوجية والسياسية"، مجلة السياسة الدولية، دورية متخصصة في الشؤون الدولية ، مصر،09 سبتمبر 2021.https://www.siyassa.org.eg

[2] الرواية، ص 147.

[3] الرواية، ص،نفسها.

كان يطمح إلى تأسيس دولة مدنية مستقرة ذات نظام ديمقراطي تسوده العدالة الاجتماعية، "سوريا ستعود حرة ديمقراطية نعم لكنها ستكون حتما ملكا لأهلها الحقيقيين وللأكثرية التي ستأتي بها صناديق الانتخابات، أيًا كان اِنتماؤها الطائفي أو القومي أو السياسي بعد استئصال النظام، أكثرية سياسية ودستور يضمن المساواة في الحقوق والواجبات للجميع بوصفهم مواطنين سوريين وليس منتسبي طوائف"[1].

إنّ "زيدان" في تمثيله لهذه الشخصية يريد أن يبيّن مدى تلاعب المسئولين وتدخل بعض الأطراف الخارجية ومحاولتهم تشتيت المعارضة بشتى الطرق وهذا ما يتضح في اللقاء الذي أجري مع فواز تللو في "ليفانت نيوز" عن طبيعة هذا الصراع فيقول: "ليس النظام فقط من سعي لذلك بل أيضا الروس والأمم المتحدة ومن ورائها الأمريكان والأوروبيون والهدف كان ابتداع معارضة عميلة أو هزيلة تفرط بالثورة ومطالبها "[2] ويضيف أن لحل النزاع وإنهاء الحرب السورية والخلاص من نظام الأسد بعد غزو سوريا من أكثر من بلد يجب الاتحاد "لذلك لابد لنا من بناء قيادة سياسية/ عسكرية حقيقية تتعامل مع الجميع وفق المصالح المشتركة لا على حساب مصالح ثورتنا، وهي قيادة سياسية حقيقية، مما يعني حكما طرد واستبعاد كل الفاشلين السابقين والحاليين ... والانطلاق من الجهود الذاتية دون أي وصاية للعمل على المصالح المشتركة مع الأصدقاء الحقيقيين بعد تحديدهم "[3].

في الواقع إنّ ذكر اختطاف معارض أو نفيه في "مُحال"، يحمل خلفه عدة أغراض لاسيما الغرض الرئيسي هو تعزيز نص الرواية انطلاقا من هذا العنصر الذي يعطي نوعا من العمق والتوتر الهادف لدى القارئ، وذلك من خلال هذا التأثير القوي والفهم الأعمق للجانب المظلم للسلطة.

---

[1] فواز تللو، "العلويون و الغرب...من الحب ما قتل"، https://www.aljazeera.net، 20 جويلية2013م.

[2] بشار خليل، " سؤال وجواب: لقاء مع السياسي السوري فواز تللو"،https://thelevantnews.com28 سبتمبر2019م.

[3] المرجع السابق.

تَجدر الإشارة إلى أن الروائي أحيانا يستعير أسماء حقيقية كاملة وأخرى مشفرة، هذه الأخيرة التي تعكس ذكاء الكاتب في إثارة فضول القارئ، حيث ترك بعض الأمور يكتسيها الضباب أي غير واضحة ولا مفهومة ولا مذكورة بشكل واضح، وهذا نوع من الفراغ الهادف الذي يضيف لمسة ايجابية على تجربة القراءة.

من خلال هذه الرواية يمكن الفهم أنّ معظم البلدان العربية تعتمد في حكمها على سياسة تكميم الأفواه بقمع المعارضين وعدم الاستجابة للمطالب ومقترحات المعارضة، بل تعدّى بهم الأمر إلى إقامة معتقلات خصيصا لهؤلاء "سجناء الرأي"، بالتالي اِفتقار الديمقراطية الفعلية في هذه الدول.

3. التواطؤ والاستبداد: بوابة التدخل الأجنبي في الشؤون العربية:

باعتبار أنّ هذه الرواية اِنعكاس لواقع أغلب المجتمعات العربية والإسلامية، يحاول "يوسف زيدان" تمثيله بمعظم تفاصيله دون تزييف للأحداث والوقائع بكشف الجوانب المسكوت عنها أو بالأحرى الحقائق المضلّلة.

إنّ تدهور الأوضاع واللاستقرار والضعف الذي تعاني منه البلدان العربية وعجزها عن مواجهتها وإيجاد حلول جذرية لها، جعلها عرضة للتدخل الأجنبي أو الغزو الأمريكي إن صح القول، الذي اتخذ من هذا التشتت ذريعة للتدخل في شؤون هذه الشعوب المستضعفة.

هنا يرصد "زيدان" تواطؤ الحكومات العربية مع الآخر المتمثل في أمريكا موجها بذلك أصابع الاتهام للحكام المستبدين بوصفهم السبب الرئيسي لما آلت إليه الأمة العربية، قائلا: "سوف يكون مثل العرب الذين سلب حكامهم أوطانهم من دون إعلان "[1] إذ بلغ بهم الأمر أن يتواطؤوا مع العدو ضد شعوبهم، فكل " القرائن بل والوقائع يدلّان على تواطؤ الغرب مع الحكام المستبدين لمنع هذه الشعوب من امتلاك أدوات الاستقلال وعوامل

[1] الرواية، ص 155.

النهوض سواء كانت سياسية أو اقتصادية ... "[1] متجردين بذلك من هويتهم ناسين مبادئهم مقابل إرضاء الطرف الآخر، بمحاربة كل أشكال المقاومة التي تفضح سياستهم وتكشف استبدادهم وولائهم للغرب، "... حتى يخلو العالم من جميع المعارضين وتستطيع أمريكا ست الكل سحب خيرات البلاد الفقيرة والنامية والحابية والماشية تاتا"[2]، وبقمع مظاهرات الغضب العربية تَسهل عليهم مهمة نهب خيرات هذه الدول بالأخص أنهم يصنفون حركات المقاومة كمنظمات إرهابية، و كل من يهدّد الوجود الأمريكي أو يفضح خططها تصفه بأنه إرهابي.

المتأمل في رواية "مُحال" سيلمس في صلبها أيديولوجية "يوسف زيدان" وموقفه اتجاه أمريكا وعلاقاتها بالعرب أو المسلمين بصف عامة، وتمثل الرواية رؤية الكاتب بإسقاطه لأحداث واقعية في قالب سردي يوضح فيه كيفية تدخل أمريكا في شؤون غيرها لكونها القوة المهيمنة على العالم، وأيضا البلد الذي يدّعي المحافظة على حقوق الإنسان على الرغم من اختلاف دينه وجنسه وعرقه والاهتمام بمختلف المصالح الاقتصادية والسياسية، وأما الأهداف الباطنية فتظهر عكس ذلك، وسيبقى مجرد تدخل في الشؤون الداخلية للدول في حين أنّها قادرة على تسيير البلاد وحدها، وأيضا ادِّعاء محاربة الإرهاب الذي هي من تصنعه بالأساس.

تعتبر أمريكا العدو اللّدود للأقطار العربية، وموضوع التدخل في قراراتهم له رُؤى متعدّدة ومختلفة، ويجمع على أن الآثار السلبية التي تحدثها أكثر من الإيجابية من بينها تفاقم الصراعات الداخلية، وتقويض الاستقرار السياسي والاجتماعي، كما أنها تحدث نوعا من التوتر العرقي والديني وهدم الثقة المتبادلة بين الدول، وأي بلد أو حركة أو شخص يعارض أراءها فإنها تدخل معه في حرب ونزاع، وهذا ما حدث في التسعينات مع أسامة بن لادن وحركة طالبان.

[1] محمد الإمام أحمد، " عندما يحتكر الغرب القيم لنفسه" ،https://www.aljazeera.net، 07جانفي 2021م.

[2] الرواية، ص 104.

يمثل "أسامة بن لادن" زعيم تنظيم القاعدة التي يشتهر عنها إنها تهدف إلى فكرة إعادة الخلافة الإسلامية، واعتبرته أمريكا إرهابي وخطر كبير على المجتمعات التي يدخلها بناء على ما اشتهر عنه إنه زعيم لتنظيم جهادي، ويرسم "يوسف زيدان" صورة هذه الشخصية بشكل متناقض، ففي البداية تمّ وصفه بالشخص المسالم والطيب وتبيّن في الصفحات التالية أنه مجرد محرض للقتل وإثارة الحروب ممّا خيب ظن البطل فيه" راح زعيمها بن لادن الذي رآه قبل سنوات في السودان متواضعا وديعا كالشعراء يبعث بالرسائل التلفزيونية المريعة داعيا إلى مزيد من القتل والتدمير وتدبير أعمال الموت، العالم اختل"[1] وهنا يمثل "يوسف زيدان" توقع القارئ عبر بطل الرواية ويوضح أن "بن لادن" كان يتحدث باسم الدين ليثير استعطاف الناس ويكسبهم في صفه، وهو في الحقيقة إرهابي يقتل الأبرياء دون ذنب وهذا لا يتماشى مع الدّين الإسلامي، ويتحدث زيدان في إحدى مقابلاته على "قناة الميادين" عن "أسامة بن لادن" قائلا:" إن أسامة بن لادن لم يكن إرهابيا على العكس كان خيرا واتُّهم من قبل المتطرفين بالخروج عن العقيدة كما حاولوا قتله في فترة من فترات حياته "[2]وأكّد " أنّ الميديا الغربية هي التي صنعت أسطورة بن لادن الإرهابية وقدمته المناقض لطبيعته"[3]، وهذا ما جسّده في الرواية .

في هذا المضمار يلقي الروائي اللّوم على الغرب ومحاولته طمس معالم شخصية بن لادن لأنه يشكل خطرا عليه، ويمكنه أن يفضح خططه، بناء على محاولات البلدان الغربية مرارا وتكرارا الإطاحة به، لأنه الوحيد الذي دعا البلاد العربية "السعودية" إلى رفض التصرف الأمريكي في كل أمورها السياسية والاقتصادية، حتى إنه كان يقوم بالحروب ضد المشركين لإخراجهم من الأراضي الإسلامية، والجهاد ضد الروس وطردهم من أفغانستان " أسامة بن لادن حين عاد إلى بلاده من أفغانستان بعدما انتصر مجاهدوها وأخرجوا الروس استقبلوه في السعودية رسميا وأسموه (أسد الإسلام) فعاش حينا بينهم مكرما لكنه بعد فترة صرّح لهم بأنه لا يصح تمكين الأمريكيين من البلاد بل يجب

[1] الرواية، ص198.

[2] دنيا عبد العليم، "يوسف زيدان: يتحدى (بن لادن) لم يكن إرهابيا وابن تيمية عالم كبير"، جريدة اليوم السابع، 05 نوفمبر 2016م.

[3] المرجع نفسه.

إخراجهم منها لن النبي في آخر أحاديثه الشريفة قال للصحابة آمرا : اخرجوا المشركين من جزيرة الإسلام "[1]، يفهم من هذا أن أمريكا صنعت هذا الشبح الإرهابي خدمة لمصالحها، ويكمن ذلك كما سبق القول في القتال ضد السوفيات، ولعل بن لادن له المهمة نفسها وهي إخراجهم من بلده الأصلي "أفغانستان" وحين نجحوا في ذلك أيقنت أمريكا مدى قوة هذا الرجل لذا عملت لسنوات عديدة على القضاء عليه.

عمد "يوسف زيدان" تمثّيل هذه الصورة بذكر أو باستحضار مجموعة من الوقائع التي مرت بتاريخ هذه البلدان، وتورط الحكومات مع هذا الآخر على حساب أمن واستقرار شعوبها " إن أمريكا لم تدخل بلدا إلا دخل إليه الخراب والدمار"[2]، إذ يعود كل هذا الحرمان والفقر والمعاناة التي تعيشها هذه الشعوب المغلوب على أمرها إلى التدخلات الأجنبية ووقوف بعض الحكام في صفهم ومساندتهم في تحقيق أهدافه، ضف إلى أنهم لا يجرؤون على مخالفة أوامرهم مقابل استمرار حكمهم والحفاظ على عروشهم.

قام "زيدان" بكشف سياسة هؤلاء عندما تطرق للحديث عن مذبحة الدير البحري بالأقصر في مصر" فالحكومة تقول كلاما يختلف عما يتهامس به سكان الأقصر وأسوان، ففي البدء قالت الصحف الحكومية والنشرات إن الفاعلين يهودا ثم عادوا عن ذلك بقولهم: بل هم إرهابيون مسلمون ..."[3]، وهنا يظهر كيفية التلاعب بعقول الناس والتهرب من الحقيقة محاولة منهم تشتيت فكرهم فيما يخص تحديد هوية الفاعلين، إذ في خضم سرد هذه الأحداث، استعان زيدان بشخصية مسعود الذي يعمل ممرضا بمستشفى الأقصر" يقول وهو متيقن إنّ هؤلاء الإرهابيين ليسوا يهودا ولا مسلمين ... كان منهم أربعة منهما لرجال غير مختونين وأهل القصر يقولون إنّ القتلة كانوا يسكنون بفندق موفنبيك الذي يملكه رجل ثري ... وليس معقولا أن يسكن الإسلاميون بفنادق الخمس

[1] الرواية، ص 128.

[2] الرواية، ص86.

[3] الرواية، ص135.

نجوم ، ماداموا قد اعتزموا القيام بعمل إرهابي "[1]، بالتالي تكون هذه المذبحة بمثابة مؤامرة غربية لتشويه صورة الإسلام والمسلمين بالاتفاق مع جهات مسئولة هناك "في اليوم التالي للمذبحة، ترقى رئيس جهاز أمن الدولة إلى مرتبة وزير اسمه حبيب العادلي ... وقالت جريدة الأهرام بوضوح أنّ هذا الوزير الجديد سوف يتبع سياسة التعتيم الكامل على الموضوع "[2] حيث أن هدفهم الأساسي هو محاربة الإسلام والعمل على طمس تعاليم الدّين، بتصنيف المسلمين كمجموعات إرهابية "لم نسمع إلا ببطش الشرطة بالإسلاميين، واعتقالهم أو قتلهم فيما يسمونه مواجهات مسلحة مع الإرهابيين "[3].ما يعني أن ما يُسمع عادة على أنه مواجهات مسلحة مع الإرهابيين هو سياسة قمعية سواء بالاعتقال أو القتل، وهو ما يتجلى في المصطلحات المستخدمة كعبارة "بطش الشرطة" وهو ما يوحي باتسام الشرطة بالعنف وافتقار العدالة، وهيمنة الدولة على الجهات الإعلامية وتوجيه الرأي العام. كما إنّ هذا المصطلح يشير إلى انتهاكات وتدخلات أمنية غير مبررة، وهو ما يشكك في نزاهة الجهات المسؤولة واستخدامها للقوة لقمع المعارضة وإسكاتها تحت شعار مكافحة الإرهاب. وينعكس سلبا على البلد فتزيد فيه التوترات الاجتماعية ويزيد الإحساس بالظلم والاضطهاد بين مختلف فئات المجتمع.

لم يكتف زيدان بتصوير العداء الشرس تجاه المسلمين في مصر، إنما أشار إلى الوضع نفسه في باكستان، " فأخبر (عليشير) بأن الآذان ممنوع تماما في طشقند، ومن المسموح أن يصلي الناس في جماعة .... الذي يتدين هنا تسميه الحكومة (وهابي) وهي كلمة تعني عندهم (إرهابي) ولا جزاء لصاحبها غير الاعتقال والتعذيب "[4] إذ أصبحت المجاهرة بالدين جريمة يُعَاقبون عليها حتى وهم في موطنهم، ومن خلال هذا يتضح بأنّ وسائل الإعلام الغربية قد نجحت في تشويه صورة الإسلام، كما تصر على محاربة المسلمين جميعا " فقد تعرض مواطنون من جنوب آسيا في

[1] الرواية، ص135.

[2] الرواية، ص137.

[3] الرواية، ص،نفسها.

[4] الرواية، ص 164.

سبيل المثال للاعتداء في كثير من الأحيان، وكذلك أشخاص ممّن يوحي مظهرهم بأنهم مسلمون، على الرغم من وجود مسلمين بين أبناء جميع الأجناس والجماعات العرقية والجنسيات "[1] ويفهم منه أن سياسة كراهية المسلمين والعنف الممارس ضدهم هو شعور شامل باختلاف العرق والانتماء والنسب، ضف إلى هذا فإن "الأحداث التي وقعت في التاريخ الأمريكي أدت إلى نشوء قالب عنصري جديد، وهدف للتحيز والخوف وجرائم الكراهية "[2] ويتمثّل هذا بعد هجمات 11 سبتمبر التي قام بها بن لادن والذي كان كرد فعل عنيف معادٍ للعرب أو للمسلمين ، ما زادها حقدًا وكراهية للإسلام والمسلمين عموما.

يتحدث "زيدان" عن تورط الحكومة الباكستانية الذي يتضح في الحوار الذي يدور بين الشخصيات " طيلة الطريق راح عليشير يحكي عن أحوال البلاد، وظلم حاكمها وبؤس معارضيه وفقر العباد مع أنّ خيرات البلاد وفيرة، ونية الحكومة منح الأمريكيين قاعدة عسكرية سيستعينون بها على حربهم في أفغانستان المجاورة "[3] لشدة ولائهم لحكام الدول الغربية بلغ بهم الأمر إلى منحهم الأراضي من أجل إرساء قواعدهم العسكرية لمحاربة البلدان المجاورة "... بعدما سارع إليها الأمريكيون وحصلوا من الحكومة الأوزبكية على قاعدة عسكرية ... ويخلوا لهم المجال لاستغلال ثروات المسلمين ويتركوهم فقراء أذلاء لرؤساء فاسدين "[4] وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على بؤس الواقع السياسي وإلى فساد النظام الذي يحكمه رؤساء ظالمين لا يكترثون لأمر شعوبهم، بل أولويتهم الاستيلاء على كرسي الحكم وضمان مصالحهم الخاصة .

في سياق آخر عبرت الرواية عن الطبقة المهمّشة وطريقة تعامل الحكام معها وكيف أنهم لا يفكرون إلاّ في أنفسهم، والعمل على زيادة ثرواتهم وضمان معيشة هانئة ومترفة، من حيث المسكن والملبس والمأكل وهذا طبعا عن طريق

[1] الولايات المتحدة الأمريكية: "نحن لسنا العدو" جرائم الكراهية ضد العرب والمسلمين بعد الحادي عشر من سبتمبر، https://www.hrw.org

[2] المرجع نفسه.

[3] الرواية، ص176.

[4] الرواية، ص191.

سرقة حق شعوبهم، يقول "يوسف زيدان" على لسان شخصية البطل: "هذه المنازل التي تلامس حواف البحر اسمها الكباين وهي للوزراء والضباط الكبار وفاحشي الثراء"[1]، وهذا يوضح مدى أنانية حكام العرب، فبينما هم يختارون أجمل المنازل وأرقاها للاستمتاع بها صيفا وشتاءً، تتمنى الطبقة الكادحة المبيت تحت سقف يقيهم من الحر والبرد " نورا: نفسي نسكن هنا على طول.

– ياريت كان ينفع يا نور العين. بس ده شبه مستحيل.

– ليه؟ كل شيء ممكن ...

أفهمته وهي تضحك. أنّ الأحلام ممكنة لأنها لا تكلف الحالم إلا التخيل والأمل. أما الأمكنة والمحال فتحتاج مع الحلم اقتدارا وكلفة"[2]، وسكناهما هذا المكان أشبه بالمستحيل وكأن" "يوسف زيدان" أراد أن يشير إلى فقراء العرب خصيصا، ومدى معاناتهم مع حكامهم الذين همشوهم، ضف إلى ذلك فالعربي لا يمكن أن يحقق أحلامه في بلاده ولا يمكن أن يتمتع بحقوقه ويعيش الحياة التي يحلم بها.

ما يعني أن الرواية تُلمح إلى أنّ معظم حكام العرب استهانوا بشعوبهم، يقول "نور الدين العلوي": "إن الجامع بين سلوك هؤلاء الحكام هو الاستهانة بشعوبهم بقطع النظر عن مستويات هذه الشعوب الفكرية وعمق تعلمها ووجود نخب فكرية بينها تمكنها المساهمة في صنع القرار العقلاني النافع للإدارة الدول والنهوض بالشعوب من ميراث القرون البائسة "[3] وهذا ما تمّ التطرق إليه سابقا بإمعان "المعارضة السياسية، بأنّ السلطة الحاكمة كانت ومازالت تمارس نوعا من الاحتقار ضد شعوبهم، وحتى في الحروب يستغلون الثروات لصالحهم وهمهم الوحيد

[1] الرواية، ص97.

[2] الرواية، ص،نفسها.

[3] نور الدين العلوي، "لماذا يحتكر الحاكم العربي شعبه"، https://arabi21.com،21 ، 19 نوفمبر 2020.م.

والأوحد هو سلامة أنفسهم من الدمار، أما الشعب فله الله، ففي الحروب فقط المسلمين من يساعد البعض والغني منهم يساعد الفقير" بس ياعم فواز فيه ناس مسلمين في بلاد العرب حالهم أصعب .

– ليه الشركة مابتساعدهم؟

– المشكلة في الحكومات لاهي بترحم ولا بتترك رحمة ربنا تنزل

– كيف يعني؟

يسرقون المساعدات"[1]، هكذا تمّ تصوير الواقع العربي في هذه الرواية على لسان الشخصية فلا تخلو الحكومات من سرقة أموال الشعب فكم من رئيس أو شخص ذو منصب حكومي زُج في السجن لسرقته أموال الخزينة، وزيدان بهذه الطريقة أراد أن يكشف مدى حقارة بعض الحكومات الفاسدة والذي ينجر عنها فساد بعض المنظومات السياسية.

أشار "زيدان" إلى الصحافة بطريقة غير مباشرة ليُفهم من ذلك أنّ الصحافة العربية تقريبا صحافة هزيلة لا تنقل الأخبار الحقيقية إنما تزيفها، والصحافة المعنية هنا هي "مهنة البحث عن المتاعب وهي شكل من أشكال الاتصال الفريدة من نوعها وهي عملية جمع وتقديم الأخبار والمعلومات بشكل متنوع ومختلف وهي جمع المعلومات حول موضوع معين والبحث عن المصادر الموثوق بها، ثم نقل النتائج والاستنتاجات إلى جمهور أوسع من خلال وسائل الإعلام سواء المطبوعة والرقمية أو المذاعة "[2] وقد يعود السبب وراء انتشار هذا الكم الهائل من الصحفيين الذين يزيفون الأخبار هو تخوفهم من العقوبات التي قد تسلط عليهم من طرف السلطات الحاكمة أو من أيادٍ خارجية، ومن المعلوم أن دور الصحفي كبير ومهم في الحياة إذ يعتبر الناقل لصوت الشعوب والعمود الفقري لأي عملية

[1] الرواية، ص192.

[2] رباب أحمد، تعديل مريم حسن، https://faharas.com، 24 ماي 2023م.

ديمقراطية، وفي يومنا هذا غابت الديمقراطية لغياب الصحافة الحقة، وقد يكون هذا هو قصد زيدان بإدراجه لهذا الموضوع في طيات محال بأسلوب ساخر يمثّل اهتمام الصحافة بالمواضيع التافهة لنيل الشهرة ناسين الأهم من ذلك وهو نقل صوت المجتمع، وهذا ما يتجسد في مقطع سردي يتحدث فيه عن شخصية نورا "كانت نورا تأتي معها بالجرائد والمجلات كي تتابع الأحداث وتستعد حسبما قالت للعمل في الصحافة فصارا يتندران على تشابه الموضوعات في الجرائد اليومية يوميا ويضحكان من تفاهة أخبارها المتكررة عن البقرة الضاحكة ورجال الحكومة ولاعبي الكرة وتوافه الفنانين صفحة الوفيات هي الوحيدة الصادقة التي تتغير بالضرورة كل يوم"[1].يفهم من هذا أن "ليوسف زيدان" دعوة لممارسة الصحافة الحقة والنبيلة بكل صدق بتسليط الضوء على المواضيع التي تخدم الشعب قبل أي فئة ثانية " قالت نورا أنها حين تجد الوظيفة سوف تقدم للناس صحافة حقة تهتم بالمحكومين لا الحاكمين ولن تكتب إلا بقلم عامر بحبر الحب"[2] وهذا في الحقيقة لا وجود له في الأوطان العربية، هكذا قالت غير أنّ الأمر الذي كانت تظنه سهلا ميسورا ظهر لها لاحقا بخلاف ذلك، وهذا ما يتماشى مع المدلول الأول للرواية مُحال بضم الميم الذي يعني مستحيل.

تمثل رواية مُحال نموذجا فنيًا، حاول من خلالها "يوسف زيدان" إبراز الواقع الدّيني لمعظم المجتمعات العربية والإسلامية، وذلك بتجسيده على مستوى الأحداث والشخصيات والمواقف، حيث تأتي إشكالية الدين في مقدمة القضايا التي استهل بها زيدان حديثه عن هذا الموضوع، وهي عبارة عن مجموعة وصايا أو أعمال التي وُجب على كل فرد مسلم التحلي بها، " إذا تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال فسوف تقوم القيامة عن قريب، لا تأكل من حرام مهما عذبك الجوع، فالموت جوعا أهون من عيش الحرام، إذا فعلت الزنا فسوف يفعل في أمك وأختك،

[1] الرواية، ص99.

[2] الرواية، ص ،نفسها.

فكما تدين تدان، الموت بشرف أفضل لك من العيش مع العار..."[1] إذ يكون بهذا كمحاولة منه للتذكير بالخطوط العريضة التي نهى عنها الدين الحنيف والمنبوذات التي يجب اجتنابها.

4. الدعوة إلى الجهاد:

أراد الروائي إثارة نفس القارئ بتسليط الضوء على تعاليم الدين وقيمه، من بينها الجهاد في سبيل الله الذي يعرّفه علماء المسلمين في اصطلاحهم بأنه "بذل الوسع و الطاقة بالقتال في سبيل الله عز وجلّ بالنفس والمال واللّسان أو غير ذلك"[2] ولأنّ الجهاد فُرض على كل مسلم لأجل إعلاء كلمة الدّين وراية الحق، والدفاع عن أرض المسلمين والتصدي في وجه الكفار اتّخذ زيدان من شخصية "عبد العال الأبنوبي" الذي مثّله بالشخص المتدين والحريص على العمل بفرائض الله "في الموسم الماضي كان يرفض الخروج مع السائحين ويسمي التماثيل الأصنام ويقول كلاما غريبا من نوع، لن نخدم الكفار الفاسقين، السياحة حرام، لا حكم إلا لله ..."[3]، حيث عزم الذهاب إلى الصومال للقتال ضد الأمريكان هناك، وهو ما يتضح خلال الحوار الذي دار بينه وبين شخصية البطل "... وما سر اهتمامك بطرق المواصلات ؟ فأجابه بعد تلفت بأنه ذاهب إلى الصومال عن طريق السودان، ليلتحق بالباخرة فجرًا هو وبعض الإخوة ...بتقول ايه ياعبد العال؟

- اسمع يا أخي، هذا نداء الجهاد لكل مسلم حر يتقي الله"[4].

ويُفهم من هذا أن الدّين حث المسلمين على القتال ضد المشركين والجهاد في سبيل الله، ما يؤكده قوله تعالى:﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ

[1] الرواية، ص11.

[2] حامد مصطفى، الجهاد في الإسلام (ماضيه وحاضره)، (ط1؛ بغداد: مطبعة المعارف، 1989)، ص20.

[3] الرواية، ص46.

[4] الرواية، ص48.

ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [1]، إلا أنّ هناك بعض المنافقينالمسلمين الذين يتخذونه مجرد كلام بالدعوة إليه فحسب، بالأخص الساسة وأصحاب السلطة، لكن توجد من الشخصيات التي آمنت فعلا بفكرة الجهاد كشخصية "عبد العال الأبنوبي" التي سبق ذكرها، والملاحظ أنه ليس بصاحب نفوذ بل هو من عامة الشعب وأنّ الذي يجاهد حقيقة هو الشعب وليس الحكام.

5. التطاول في البنيان:

يتطرق "زيدان" لأحد الظواهر المنتشرة في الوطن العربي ألا وهي التطاول في البنيان، والتي لفتت انتباهه عبر شخصية البطل أثناء تواجده في مدينة أبو ظبي بالإمارات "...أجال عينيه في العمائر العالية المطلة على المكان فخايله من جديد سؤال: لماذا يتعالون هنا بالبنيان، بينما الصحراء الواسعة حولهم تحتاج من يعمرها، وليس فيها ذئاب تخيف الساكنين؟ وها هي الآية المعلقة في بيت السيد (خليفة) تحد الذين يريدون علوا في الأرض أو فسادا"[2] والتعالي في البناء لغرض التباهي والتفاخر من الصفات المنبوذة شرعا، يعرّفه "الحافظ ابن حجر" بقوله: " ومعنى التطاول في البنيان: أن كلاً ممّن كان يبني بيتًا يريد أن يكون ارتفاعه أعلى من ارتفاع الآخر، ويحتمل أن يكون المراد المباهاة به في الزينة والزخرفة أو أعم من ذلك، وقد وجد الكثير من ذلك وهو في ازدياد"[3]، ولكن كتحديد مباشر في القرآن الكريم بشأن حكم التطاول في البنيان ليس واردًا، لذلك تعدّدت التفسيرات والأحاديث حول الموضوع، لهذا كان البطل يحاول تفسير الآية "...راح يتأمل في رسومات السجاد المبسوط على الأرض، وفي الآية المعلقة على الجدار في إطار ذهبي بديع ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾"[4]، ما جعله في حيرة من أمره عن المقصود "لعل المراد من الآية النهي عن

---

[1] القرآن، سورة التوبة، الآية 29.

[2] الرواية، ص59.

[3] "من أشراط الساعة...التطاول في البنيان" ، موقع إسلام ويب https://www.islamweb.net، 21أكتوبر 2012م.

[4] القرآن الكريم، سورة القصص الآية 83، وردت في الرواية، ص156.

التعالي على الناس، وليس تعلية البيوت، ولو كان النهي الإلهي يتعلق بالمباني، لما كان المسلمون الأتقياء قد أقاموا المآذن العالية، وما كانوا قد ارتضوا سكنى القصور، لا بأس إذن في تعلية العمارات المطلة على الخليج وعلى أي شيء آخر"[1] وهذا حسب ما استنتجه في حواره مع نفسه ومن الواقع الذي تكثر فيه هذه الظاهرة والتي أصبحت مألوفة.

6. الإحسان إلى الفقراء:

يلتمس القارئ في مُحال رسالة الكاتب غير المباشرة من خلال الشخصيات التي يدعو من خلالها إلى إحياء وزرع الصفات الحميدة التي حثّ الدّين للتحلي بها، من بينها التصدق والعطاء والإحسان إلى المحتاج "... يذبح كل يوم خروفين للفقراء ويوزع عليهم لحومها من باب الصدقات، وقد رأى أبوه أن الواجب عليه إعانة هذا الرجل الخير فيما يفعله، ابتغاء مرضاة الله وثوابه"[2]، إذ استعان زيدان بشخصية ميسورة الحال وهي شخصية "بن لادن" ليثير من خلالها وجدان المتلقي بضرورة تكافل المسلمين مع بعضهم البعض في عمل الخير، وبأنّ الغني المؤمن وُجب عليه مساعدة أخوه المحتاج خاصة أنّ الأرزاق بيد الله تعالى،" يعمل بالمقاولات ويلقي دروسا بالمسجد ويقوم بمشروعات تطوعية وأعمال خيرية وقد تبرع للبلاد بإنشاء طريق سريع يصل عطبرة بالخرطوم... نفذه كلّه من ماله الخاص كأنه أوقف كل ما يملك لخير الناس والدعوة لدّين الله"[3]فزيدان تعمد إظهار الجانب الخيّر من هذه الشخصية من جهة وتجسيدها للنفاق الديني الذي يكمن في ارتكابه جرائم القتل والتحريض عليه من جهة أخرى، بالتالي قد تكون هذه الشخصية الخيّرة التي اصطنعها مجرد قناع تخفي حقيقته ليكسب المؤيدين لصفه.

---

[1] الرواية، ص160.

[2] الرواية، ص50.

[3] الرواية،ص، نفسها.

في سياق آخر أشار "زيدان" إلى تحقيق مبدأ العدل والمساواة بين الناس، ذلك بإعادة توزيع الثروة ما يؤدي إلى زوال الطبقية في المجتمع الذي أفضى به النظام الرأسمالي والذي ساهم في اتساع الفارق بين الطرفين، أين زاد الغني غنًى والفقير فقرًا، وهو ما لا ينصّ به الدّين "... لو درس كارل ماركس الإسلام حتى ولم يؤمن به، لكان قد عرف معنى التكافل وعدّل من نظرياته ، وربما قرر كلاما غير الذي كتبه وفتن به الشيوعيين من أتباعه"[1] ويريد الكاتب بهذا أن يُلفت النظر لأهمية الأخلاق وأنّ الإسلام دّين الحق والمساواة قائم على مبدأ المشاركة ونبذ التفرقة والتمييز بين بني البشر مهما اختلفت مشاربهم أو حتى دياناتهم "... ثم سأله عن سبب توزيع الهبات على الجنوبيين وهم من غير المسلمين، ومن فيهم غير مستحقين، فردّ عليه بأن الحديث الشريف قال (الخلق عيال الله) ولم يقصر الأمر على المسمين، وعن الشيخ عبد القادر أنه قال: أعط من يستحق ومن لا يستحق، يعطك الله ما تستحق وما لا تستحق "[2] ويشير زيدان هنا على لسان شخصياته إلى مبدأ المساواة الذي يحقق العدالة بين الناس من منطلق أن الخلق عند الله سواسية والرزق له، وللكل نصيب.

7. الزنا والنفاق الديني:

استعان "يوسف زيدان" بالشخصية الرئيسية لأجل تمثيل الواقع الديني، بجعلها في تنقل دائم بين مختلف البلدان، كذلك من خلال تصرفاتها وعلاقتها بالشخصيات الثانوية، باعتبارها شريحة من المجتمع تعبر عن الواقع الحقيقي، ليبرز الآفات القضايا غير الأخلاقية التي تفشت بين المسلمين، وهذا ما سيظهر من خلال مسار البطل.

بداية ومع سرد الأحداث تتضح صورة البطل على أنه شخص متدين ذو أخلاق رفيعة وبار بوالديه، وحريص على أداء صلواته وعباداته على أكمل وجه، وبحكم اشتغاله كمرشد سياحي في أسوان كان يقتضي به الحال أن يتعامل مع الأجانب غير المسلمين، لكنه كان لا يحبذ هذا الأمر خوفا على أخلاقه وإيمانه "...لا يسعى للعمل مع

[1] الرواية، ص160.

[2] الرواية، ص54.

السياح الأجانب...لأنه قد يرى من الأجانب ما لا يحب يرضى ...أعطته امرأة منهم مائة دولار ملفوفة في ورقة، فيها رقم حجرتها بالفندق طلبت كأنها تملي عليه أن يجلب لها قطعة من الحشيش الجيد ويأتي مساءا إلى غرفتها للمبيت، ولسوف تعطيه مائة دولار" [1] وتجنبا لمثل هذه الأفعال الدنيئة لا يحب التعامل معهم، و" أعاد المال للمرأة ... وليلتها صلي في البيت ما فاته طيلة النهار، ثم فتح مصحفه على قصة النبي يوسف مع امرأة العزيز والصاحبات الخليعات، وراح يقرأ حتى هدأت روحه ونام حامدا ربه على نعمة الإسلام" [2]، كأنه بذلك يحاول التكفير لذنب لم يقترفه.

وكان البطل شابا حريصا ومتعلقا بدينه وملتزما بالطاعة والعبادة ولا تفوته صلاة "...انتبه على صوت الآذان، فقام من فوره إلى ميضأة الزاوية وتوضأ على عجل ، وأدرك الصلاة مع الجماعة قليلة العدد وهو يسأل نفسه: لماذا تركه الحاج بلال نائما ولم يوقضه قبل الآذان"[3] كما أنه لا يقرب الفواحش ويتجنب مجالس السوء قدر المستطاع " لمح ناحية اليمين المرشد العتيد (سهيل العوامي) ...بيده مبسم الشيشة المزركش، وعلى طاولته زجاجة البيرة والكوب العامر ... ليس من الأدب أن يتجاهله وليس من الواجب أن يجالس الذين يشربون فقد أمره أبوه من الصغر بألا يجالس شاربي الخمور"[4]، وكان لا يمر عليه يوم واحد دون تلاوة القرآن، إذ كان المصحف قرين جيبه"...أخرج من جيب قميصه المصحف وقرأ من حيث توقف الأمس عند سورة النور ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (1) ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ...﴾ سبحان الله لماذا يأتي ذكر الزنا والزناة في ابتداء سورة اسمها النور ؟ وكيف يفعل الزناة ما هو خليق بالبهائم؟ اللهم لا تؤاخذنا بما يفعل

[1] الرواية، ص16.

[2] الرواية، ص17.

[3] الرواية، ص33.

[4] الرواية، ص34.

السفهاء منا ولا تؤاخذنا بأوزاره، فأنت اللطيف الخبير"[1] ما يعني أنّه على يقين تام بحدود الله التي لا ينبغي تجاوزها والتعدّي عليها، حيث شدّد الدين على عدم ارتكاب مثل هذه المعاصي، ما يمكن التماسه خلال حواره مع نورا:"...سألته إن كان قد أقام من قبل علاقة، فنفى ...أكد لها صدق كلامه بذكر الحديث النبوي وأورده كاملا: سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل، وشاب نشأ في طاعة الله ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه و تفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق فأخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه "[2]، وهذا إن دل على شيء إنّما يدل على شدة إيمانه وتعلقه بدينه و إلمامه بالمسائل التي دعا الإسلام للعمل بها.

والمتتبع لمجرى أحداث الرواية يكتشف أنّ هذه الشخصية ضعفت في لحظة من اللّحظات على الرغم من تشدّدها في لحظات أخرى، وهو ما يدّل على أن المتحكم والمدير لهذا الشعور هو الطرف الآخر الذي كان متمكنا من إغرائه وإسقاطه في فخ الرذيلة الذي هرب منه في عدة مواضع، غير أنه يقع في المحظور ويرتكب فاحشة الزنا مع نورا بعد مكوثهما في شقة واحدة من غير عقد زواج فقد " أمضيا أسبوعين في الشقة المستأجرة لا يتجنبان إلا الحبل لأن وقت المأمول لم يأت بعد حسبما كانت نورا تقول "[3] وهذا الفعل على قدر ما استقبحه مع السائحات وتجنبه فهو في هذا الموضع من حياته له ما يبرره حتى وإن لم يصرح بذلك، وهو امتحان وضعه الكاتب لشخصيته التي كثيرا ما قاومت إغراءات كثيرة من السائحات فجعله يقف أمام امرأة يحبها حتى يستطيع تقييم إيمانه الذي ضعف بمجرد أن التقى بها في مكان أُغلق عليهما هذا من جهة، ومن جهة أخرى هو رسالة خفية يريد بها الكاتب أن يقنن هذا الفعل حتى وإن كان محرما فشخصيته وضعته في إطار معين ولا يمكن ارتكابه إلاّ مع طرف يحبه، وهو ما يجعل للمشاعر سيادة على إيمانه ومبادئه، في حين إنّ الدين الإسلامي لا يجزئ المحرمات، والزنا من

[1] الرواية، ص22.

[2] الرواية، ص98.

[3] الرواية، ص114.

كبائر الذنوب، حيث بيّن الله سبحانه وتعالى في أكثر من آية في القرآن الكريم أنّها حرام ومن الكبائر إلى جانب الشرك، في قوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا﴾[1].

أما كتعريف للزنا، فيقصد بها "وطء مكلف مسلم فرج آدمي لا ملك فيه باتفاق تحرزا من الشبهة عند الاختلاف تعمدا"[2]، ودخوله عالم الزنا مع حبيبته زين له عمله فتجرأ عليه أكثر فلم يعد يهتم للإطار الذي يقنن هذا الفعل وإنّما أصبح يتقصد الذهاب إلى بيوت الدعارة ويتردد عليها "ما الذي يجري؟ لا يجوز له البقاء بهذا المكان، ولكن لا يصح الخروج قبل أن يعرف نهاية لما تقوم به الفتاة الفاتنة، فاحشة الحسن من أفعال الدلال...الله يعفو عن كثير"[3] ومن خلال كل هذا الحديث، يتضح بأن الروائي عمد إلى استخدام الشخصية الرئيسية لتصوير وتمثيل حقيقة تلك الفئة التي تدّعي التدين والطاعة، لكن أفعالهم في الواقع تقول عكس ذلك تماما، وهذا مماثل لشخصية أسامة بن لادن الذي كان بدوره أيضا يدّعي التدين والعمل بقيم الدين وتعاليمه، لكنه بالمقابل تسبب في سفك دماء الأبرياء وهذا ما يتنافى والدين الإسلامي، وهذا ما يصطلح عليه بالنفاق الديني.

يقول مسعود فلوسي في كتابه "شخصية المنافق في القرآن الكريم": "لأجل ذلك وجدنا القرآن الكريم يولي هذه الفئة من الناس أهمية خاصة، فيعمل على فضح سرائرهم وكشف نواياهم وإبراز مساوئهم وصفاتهم حتى تتضح صورتهم وتتبدى أفعالهم وصفاتهم، فلا يغتر المؤمنون بهم وما يظهرون به من مسالك وأعمال"[4] والنفاق انحراف خلقي خطير في حياة الفرد وفي حياة الأمم، خاصة في الدين، تضيف الكاتبة "منال شيخ " في تصريح لها عبر

[1] القرآن، سورة الفرقان، الآية 68.

[2] خليل بن اسحاق، مختصر خليل (ط 1؛ القاهرة: دار الحديث، 2005)، ص240.

[3] الرواية، ص172.

[4] مسعود فلوسي، "شخصية المنافق في القرآن الكريم، محاولة في التفسير الموضوعي"، (مجلة الإحياء، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة 1، المجلد1 ، العدد1، 1998م) ص2.

جريدة أخبار الخليج ،"...أتعجب حقيقة من أناس يتحدثون عن أمور تخص الدين الإسلامي ويحثون غيرهم على فعلها وهم لا يطبقونها أساسا...الدّين ليس صلاة وقراءة القرآن ومكوثا في المسجد لساعات لنيل مرضاة الله وكسب الأجر والثواب من المولى سبحانه وتعالى"[1] وفعلا الدين لا يقاس بالمظاهر أو بالأقوال وإنما بالأفعال.

في السياق نفسه، تطرق "زيدان" إلى قضية زنا المحصنات والخيانة الزوجية، وما ينجر عنها من عواقب وخيمة ، حيث مثّل هذه الحادثة بزوجة سهيل التي قامت بخيانته مع أحد أقربائها عطية الفران "...سار ورائها متواريا فرآها تدور حول السوق متلفتة، ثم تهم بخطوها حتى تصل إلى الناحية البعيدة وتدخل عند الفران، فاقتحم عليهما الغرفة بعد لحظات فوجدها مكشوفة الشعر ملونة الشفتين "[2]، وبعد هذه الفاحشة قام أهل الزانية بقتلها ومفارقة أسوان هربا من الفضيحة التي ألحقت بهم، دافعين بذلك ثمنا لذنب لم يقترفوه والذي سيظل يلاحقهم دوما. و" الرجل في هذا الأمر غير المرأة ،لأنه يترك منه شيئا في بدن التي يزني بها، وقد يصير هذا الشيء من بعد ذلك ذرية، بينما الزانية لا تترك في الرجل شيئا منها ،لا،لا يصح هذا المقياس، فالصحيح أن كليهما يترك في الآخر الذنب والمعصية، وقد قال الله (الزانية والزاني) ولم يخص اقتراف الزنا بواحد منهما، فالعُصاة عند الخالق سواء"[3] هذا بخصوص ما تنصّ عليه الشريعة الإسلامية، غير إن ما يسري في الواقع العربي فإنّ اللوم كله يقع على المرأة، ويُبرأ الرجل من عواقب جرمه أو يكون الأثر عليه أخف، مع أنهم يشتركان في الرذيلة معًا.

أراد "زيدان" استعراض المزيد من هذه الآفات والمعاصي التي لا تمت بصلة للإسلام ولا للمجتمع الإسلامي المحافظ، وراح يسلط الضوء على وضعية بعض المسلمين في السودان، بحكم أصول البطل السودانية "في الجانب الجنوبي من السودان، يسكر الرجال الضخام ليلا بأبرد الخمور، ويمرون من الطرق المظلمة وهم يترنحون، فيشبهون

---

[1] منال شيخ،"لا تحدثني عن الدين... بل دعني أراه فيك"، جريدة أخبار الخليج، https://akhbar.alkhaleej.com، البحرين، 29 أفريل 2020م.

[2] الرواية، ص120.

[3] الرواية، ص122.

بهيئتهم قردة الغوريلا"[1] حيث يصفهم بالقردة حتى يثير اشمئزاز القارئ منهم، وعلى الرغم من كونه بلد عربي إسلامي فإنّ هذا لا يمنع من تواجد مثل هذه الفئات التي تحلّل ما حرمه الله تعالى وتجهر بالمعاصي، وهذه الظاهرة منتشرة في معظم الأقطاب العربية، وهو ما يؤكده الروائي من خلال شخصية سهيل العوامي "...بينما سهيل يلف الحشيش بسجائره التي يسميها بخور الصالحين، ويحشي كؤوسا كثيرة من الشراب الذي جاء بزجاجات ثلاث منه، كان يخبئها عند مجيئه بين ملابسه، الخمر ممنوع هنا"[2] وهو ما يشير إلى تناقض واضح عند هذا النوع من الشخصيات المريضة، ويحاول الكاتب عبر هذا المقطع السردي التنبيه إلى مثل هذه السلوكيات التي طالت المجتمعات العربية ونخرت أعماقها فجعلتها خاوية ومزعزعة "...فالقرآن يدعو لاجتناب المسكرات، والحديث الشريف يقول صراحة إنّ الذي يشرب الخمر يظل الأيام الأربعين التالية خارجا عن الدّين، وإذا مات خلالها يموت على غير الإسلام"[3] إذ أنّ ارتكاب مثل هذا الذنب يعادل الخروج عن الملة لمدة أربعين يوما، وإن توفي خلال هذه الفترة يموت كافرا، إلا أنهم لا يكترثون للأمر، بل ويستمرون في التعدي على حرمات الدّين وحدوده.

يعطي "يوسف زيدان" مساحة واسعة للحديث عن الواقع الديني، بتمثيله سواء على مستوى الشخصيات أو المواقف والأحداث، كما يعكس حضور الدّين وتوظيفه في ثنايا مُحال والتي تكشف عن أيديولوجيته في الفكر الإسلامي والدعوة لترسيخ تعاليمه، بلمسة فنية وجمالية.

[1] الرواية، ص13.

[2] الرواية، ص133.

[3] الرواية، ص134.

خاتمة

خاتمة:

في خاتمة البحث توصلنا الى مجموعة من النتائج من بينها :

أنّ الرواية العربية تعكس الواقع وتمثّله بمقاربة قضايا ومشاكل المجتمعات خاصة العربية منها، وتعد المساحة المثالية لتصوير هذه الظروف وتحفيز المجتمعات على التغيير، حيث تساهم في توسيع مفهوم الثقافات المختلفة وتمنح للقارئ فرصة التأمل والتعمق في قضايا الحياة وتوسيع أفاقه الفكرية.

في رواية "محال" للكاتب يوسف زيدان، يتم الكشف عن أهم العناصر التي تشكل الواقع العربي المعاصر وتماثله، والتي تشمل كل من الواقع السياسي والديني والتاريخي، وتم استنطاق كل واقع منها بناء على المعطيات والأسباب والظروف التي بنى عليها زيدان أحداث روايته، ممّا يتيح للقارئ فهم السياقات المتنوعة التي تؤثر على الواقع العربي، وتقوم رواية محال بدور توعوي وكاشف لكثير من المسائل الشائكة في الواقع العربي، ورافعة الستار عن الكثير من الحقائق.

يستثمر يوسف زيدان التاريخ كأداة لفهم الواقع المعاصر عبر مجموعة من الأحداث والتحولات الراهنة في المجتمع العربي، باعتبار أن التاريخ من أهم العناصر الفعّالة في تشكيل وعي وهوية الأفراد والمجتمعات، ويتم رصد التاريخ في "محال" عبر مجموعة من التواريخ، ومجموعة من الأحداث التاريخية الكبرى والتي تم الإشارة إليها في الرواية لتكون مرتكزا يبني عليها زيدان أفكاره ورؤاه حول ما يحدث في العالم العربي. والتعريف بأشهر المعالم والآثار التاريخية، التي تزخر بها البلاد الإسلامية لما تحمله من قصص وأحداث مهمة من الماضي، كما تُعزّز الوعي بالتراث الثقافي للأماكن المختلفة، بالإضافة إلى عنصر العاطفة الذي ضاعف من عنصر التشويق للرواية.

يزيل " يوسف زيدان " في روايته " محال " اللبس عن فترة زمنية محدّدة تمتد من أوائل التسعينات إلى غاية الألفينات "1991 . 2002 م"، بنقله لأهم التحولات والأحداث التي عرفها المجتمع العربي والإسلامي في تلك الآونة، كما أبدى موقفه وفق ما يتماشى وفكره.

يستخدم زيدان تفاصيل الواقع السياسي والديني كخلفية لأحداث روايته، ويعرض أهم الصراعات والتحولات السياسية والدينية التي تشهدها المنطقة العربية، وما أسفر عنها من قضايا تتعلق بالفساد السياسي، والاحتجاجات الشعبية، والتغيرات الجيوسياسية. وتم تجسيدها بشخصيات وأحداث تماثل الواقع وتغيراته، ويكشف زيدان عن التأثيرات السياسة على المجتمع وأفراده، ويظهر النتائج المحبطة والمليئة باليأس ولا استقرار التي تؤديها السياسات القمعية، وغالبا ما يؤدي العنصر الديني في رواية "محال" دورًا مركزيا فيسلط الكاتب الضوء على الدين وكيفية استخدامه في الصراعات السياسية، وتأثير ذلك على المجتمع وسلوك أفراده، ويناقش زيدان التطرف الديني في روايته محال مستكشفا تأثير الأيديولوجيات الدينية على حياة الشخصيات، وكيف تم اتخاذ الدين من بعض الجهات وسيلة للقمع في حين اتخذتها جهات أخرى أداة للتنوير.

يمثّل الدين مصدر قوة للمجتمعات العربية، وتم استخدامه في محال لتحقيق أهداف سياسية كونه مصدرا للقوة والتأثير على العقول، ويتم اللجوء إليه لجذب الدعم والتأييد من المجتمع، والترويج لأفكار متطرفة باستخدام القيم والمبادئ الدينية. وتم التعرف من خلال "محال"، على ثقافة الأقوام الأخرى وعاداتهم وتقاليدهم واكتشاف تنوعها وتميزها. ويكشف زيدان عن التحديات التي تواجه المجتمعات العربية، مقدما تحليلا معمقا لطريقة مواجهة المجتمع لها.

الواقع العربي يواجه عدة تحديات مهمة تشمل مشاكل التوظيف ولا استقرار السياسي والاجتماعي ...التي تتطلب الاتحاد والتكاتف للتغلب عليها، وتحقيق تقدم مستمر في البلد.

يبني زيدان أحداث روايته وفق عدد من المعطيات التي تشكل المجتمع العربي ممّا يمنح واقعية لأحداثها ويدفع القارئ للتفاعل معها وتصديقها، ويتجلى تطور أحداثها وشخصياتها عبر سَنِّه لأسباب منطقية تأتي عبر سياقات سياسية ودينية وتاريخية، ويستعين زيدان في ذلك بتقنيات سردية تضاعف من واقعيتها مثل: الفلاش باك وتقنية الاسترجاع الزمني لتواريخ يقدم عبرها شخصيات وأحداث أو أمكنة معروفة في المجتمع العربي. والتركيز على عنصري الزمان والمكان لإضفاء نوع من الواقعية للرواية، إضافة للطابع الوصفي الذي لازم السرد منذ بداية الرواية لوصف المواقع الجغرافية للأحداث، ممّا زاد من جمالية هذا الفن الروائي.

عبر تحليل العناصر الأساسية المذكورة آنفا يمكن للقارئ أن يُكون رؤية شاملة ودقيقة ومعمقة عن الواقع العربي، وكيف تم تمثيله في محال التي جمعت بين السرد الأدبي والواقع العربي، وهو ما يجعل من الرواية عملاً أدبيًا يجمع بين المتعة والفائدة.

وتفتح خاتمة هذا البحث الشهية لبحوث أخرى، يمكنها أن تستنطق الرواية والواقع عبر أفكار ورؤى تتعلق بمستقبل لم نراه بعد.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم:**

قائمة المصادر:

- يوسف زيدان، محال، ط 1، مدينة نصر، القاهرة، دار الشروق، 2012 م.
- ابن خلدون، "المقدّمة"، ط1، القاهرة، دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع 2010م.

قائمة المراجع:

1) إبراهيم أنيس "في اللهجات العربية"، ط 9، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية،1995م.
2) إبراهيم عباس، الرواية المغاربية . تشكل النص السردي في ضوء البعد الأيديولوجي " ط 1، الجزائر، دار كوكب العلوم ،2014 م.
3) أحمد دوغان "في الأدب الجزائري الحديث"، ط1، دمشق، اتحاد الكتاب العرب 1996م.
4) أحمد محمد عطية "الرواية السياسية "، د.ط، القاهرة، مكتبة مدبولي، د.ت.
5) حامد مصطفى "الجهاد في الإسلام (ماضيه وحاضره)"، ط1، بغداد، مطبعة المعارف، 1989 م.
6) حلمي محمد القاعود "الرواية التاريخية في أدبنا الحديث"، ط 2، مصر، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ، 2010 م .
7) خليل بن إسحاق " مختصر العلامة خليل"، ط1، القاهرة، دار الحديث، 2005 م.
8) سربست مصطفى رشيد آميدي "المعارضة السياسية والضمانات الدستورية لعملها"،د.ط ، العراق، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، 2014 م.
9) سعيد يقطين "قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود"، ط1، الرباط، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، 2012 م.

10) صالح سليمان عبد العظيم "سوسيولوجيا الرواية السياسية"، د.ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1998م.

11) طارق عبد الرؤوف عامر "أسباب وأبعاد ظاهرة البطالة وانعكاساتها السلبية على الفرد والأسرة والمجتمع ودور الدولة في مواجهتها "، ط 2، عمان، دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2015 م.

12) عبد الحكيم عبد الجليل محمد قايد المغبشي، "المعارضة في الفكر السياسي والوضعي . مفهومها . أهميتها . واقعها"، د.ط، القاهرة، المكتب الجامعي الحديث ،2006 م.

13) عبد الرحمن منيف "رحلة الضوء"، ط 1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المركز الثقافي العربي، 2005 م.

14) عبد الغفار حامد هلال "اللهجات العربية نشأة وتطورا "، د.ط، القاهرة، دار الفكر العربي، 1998 م.

15) عبد الله خليفة "نجيب محفوظ من الرواية التاريخية إلى الرواية الفلسفية"، ط1، بيروت، الدار العربية للعلوم . ناشرون، 2007 م.

16) عبد الوهاب بوشليحة "إشكالية الدين، السياسة والجنس في الرواية المغاربية" د.ط، الجزائر، دار ميم للنشر، 2020 م.

17) عزيز شكري ماضي "في نظرية الأدب"، ط 1، بيروت، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر، 2005 م.

18) فيصل دراج " الرواية و تأويل التاريخ . نظرية الرواية والرواية العربية ."، ط 1، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2004 م.

19) لوسي يعقوب "إحسان عبد القدوس.. والحب"، ط 1، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1994م.

20) محمد القاضي "الرواية والتاريخ ـ دراسات في تخييل المرجعي ."، ط 1، تونس، دار المعرفة للنشر، 2008 م.

21) محمد رياض وتار "توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة"، د.ط، دمشق، مكتبة طريق العلم من منشورات اتحاد الكتاب العرب،2002 م.

22) محمد عابد الجابري، " تكوين العقل العربي"، ط 4، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1989 م.

23) محمد عبد الله دراز" الدين"، ط1، الكويت، دار القلم، 2008 م.

24) محمد هلال الغنيمي "النقد الأدبي الحديث"، ط 1، القاهرة، دار النهضة ،2004م.

25) مصطفى المويقن "تشكل المكونات الروائية"، ط 1، دمشق، دار الحوار للنشر والتوزيع، 2016م.

26) نضال الشمالي "الرواية والتاريخ"، ط 1، الأردن، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2006م.

الكتب المترجمة:

1) جورج لوكاش " الرواية التاريخية " تر: صالح جواد الكاظم، ط 1، بيروت، منشورات وزارة الثقافة والفنون، 1978 م.

2) جوزيف فندريس، "اللغة"، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد قصاص، مطبعة لجنة البيان، مصر، مكتبة الإنجلو المصرية، 1950 م.

الرسائل الأكاديمية:

1) بن عبد المولى نصيرة، " الطقوس البدائية وعلاقتها بالممارسات الدينية المعاصرة"، إشراف: أنور حمادي، رسالة ماجستير في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2014 م.

2) رجاء مستور، "الرواية التاريخية العربية بين التوثيق والخيال"، رسالة دكتوراه علوم إشراف: محمد شنوفي، كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية، جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله، 2016م.

3) علي منصوري، "البطل السجين في الرواية العربية المعاصرة"، إشراف محمد العيد تاوركه، رسالة دكتوراه في الأدب الحديث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة لحاج لخضر، باتنة، 2007 م.

المجلات الدوريات:

1) إبراهيم فتحي، "تطورات أدوات الصياغة الروائية من الواقعية إلى الحداثة"، مجلة فصول، ع 61، مصر، 2003 م.

2) جسيار الجميل، " الرواية التاريخية"، مجلة البيان، ع 2، جامعة آل البيت، الأردن.

3) شعيب مفنونيف، "دراسات بين الحدث التاريخي والسرد الروائي أي تقاطعات وأي علاقة ؟؟ "، دورية كان التاريخية السنة الحادية عشر، ع 42، جامعة تلمسان، ديسمبر 2018 م.

4) قاسم عبده قاسم، " التاريخ والرواية: تفاضل أم تكامل"، مجلة العربي، ع 557، الكويت، 2005 م.

5) مسعود فلوسي، "شخصية المنافق في القرآن الكريم"، مجلة الإحياء، كلية العلوم الإسلامية، مجلد 1، ع1، جامعة باتنة، 1998 م.

6) نورة بعيو، "أشكال وتقنيات توظيف المادة التاريخية في الرواية العربية المعاصرة "، مجلة الخطاب، ع 9، جامعة تيزي وزو، جوان 2011 م.

المواقع الإلكترونية:

1) https://aathaar.net

2) https://almowatananews.com

3) https://annabaa.org

4) https://arabia21.com

5) https://mawdoo3.com

6) https://sputnikarabic

7) https://theleventnews.com

8) https://www.alarabiya.net

9) https://www.aldiwan.net/quote92.html

10) https://www.aljazeera.net

11) https://www.almesbar.net

12) https://www.diwanalarab.com

13) https://www.drbsharat.com

14) https://www.fuouaid.com

15) https://www.hadaf.news

16) https://www.hrw.org

17) https://www.iasj.net

18) https://www.inci.edu

19) https://www.independentarabia.com

20) https://www.islamweb.net

21) https://www.moqatel.com

22) https://www.mouminoun.com

23) www.lalonline.com/letirature/critique/455.doc.ctr.htm

24) https://almanalmagazile.com

25) https://www.annaharar.com

26) https://www.youm7.com

27) https://www.almasryalyoum.com

28) https://www.elwatannews.com

29) https://www.alkhaleej.ae

30) https://www.alkalimah.net

31) https://www.alqabas.com

32) https://alanbatnews.net

33) https://www.siyassa.org.eg

34) https://www.annaharar.com

القنوات التلفزيونية:

1) عبد الرحيم عبيد، "منصور الكيخيا .. ذهب إلى مصر ولم يعد"، قناة الجزيرة، 23 فيفري 2020 م.

فهرس

فهرس:

اهداء: 01

مقدمة: 04

الفصل الأول: الواقع التاريخي والتأريخي في محال: 08

1 . الأحداث والوقائع التاريخية: 16

2 . الشخصيات التاريخية والتأريخية: 22

3 . الآثار والمعالم التاريخية: 28

الفصل الثاني: الواقع الاجتماعي في محال: 37

1 . المعضلات الاجتماعية: 41

2 . العادات والتقاليد: 50

3 . المكان واللغة: 54

الفصل الثالث: الواقع السياسي الديني في محال: 67

1 . القضايا السياسية في رواية مُحال: 73

2 . الشخصيات الممثلة للواقع السياسي في مُحال: 82

3 . التواطؤ والاستبداد: بوابة التدخل الأجنبي في الشؤون العربية: 88

4 . الدعوة إلى الجهاد: 97

5 . التطاول في البنيان: 98

6 . الإحسان إلى الفقراء: 99

7 . الزنا والنفاق الدّيني: 100

خاتمة: 107

قائمة المصادر والمراجع: 111

فهرس: 118

ملخص الرواية:

يمثل يوسف زيدان الواقع العربي في رواية محال عبر أهم القضايا الاجتماعية والسياسية والتاريخية، ومن خلال شخصيات تعكس الواقع العربي إبان فترة التسعينات إلى غاية الالفينات فتأسرنا الرواية بطابعها الترحالي المتسارع لنتبع حياة بطلها المصري السوداني الذي له أحلام بسيطة كإيجاده لعمل يرتقي به لمرتبة الرجال والزواج من فتاة نوبية من جماعة المتوكي.

تبتدئ أحداث الرواية معشاب عشريني يبحث عن فرصة عمل بعد أن أنهى تعليمه الثانوي ودخل إلى الجامعة وتخرج فيها؛ ثم عمل كمرشد سياحي بأسوان بعيدا عن عائلته المقيمة في أم درمان وفي إحدى الرحلات الجامعية وقع في حب فتاة إسكندرانية تعيش في حي كرموز الشعبي اسمها نورا، وكانت الرحلة عبارة عن زيارات لأماكن قديمة مصرية كلابشه والبر الغربي وكل من كرموز والمنتزه والتي جعلها الروائي عناوين لفصوله الأربعة الأولى.

توالت الأحداث لتتطور العلاقة بين البطل ونورا إلى علاقة حب متبادلة كادت أن تنتهي بزواج، لكن شاءت الأقدار أن تتزوج نورا من رجل ليبي لتنقذ والدها، أما الشاب فقد خسر عمله وطرد منه وعاد إلى وطنه السودان.

انتقل البطل إلى الخليج "الإمارات" ليبحث عن وظيفة؛ فعمل كموزع للمنتجات المعلبة وبعد اجتهاده في العمل عرض عليه مدير الفرع فواز فرصة أفضل في أوزبكستان محاسبا ومندوبا في أحد فروع الشركة، و تزوج من فتاة اسمها مهيرة لضمان سهولة دخوله وخروجه من البلاد وعاد بها إلى الشارقة ليذهب بعد مدة إلى طشقند في مهمة أخذ الأموال للمسلمين المتضررين من الحرب في أفغانستان كمساعدة سرية، وبعد إنهائها عاد ثانية إلى الشارقة بغية الاستقرار فيها نهائيا هو وعائلته، لكن تدهورت أحوال الشركة بعد وفاة صاحبها الخليفة وما أن قضي العام حتى أتيحت له فرصة التوظيف كمصور ومراسل في تلفزيون بقناة الجزيرة لرصد الأفعال الشنيعة التي ارتكبت في حق مسلمي باكستان وأفغانستان من طرف الأمريكان، واستقبلوهم في الحدود هو و زملائه جند طالبان ثم أذنوا

لهم بالدخول مرة واحدة فقط، وفي طريقهم إلى قندهار سمعوا صوت الانفجارات ليعرفوا أنها قصف الطائرات الأمريكية لمطار قندهار و ما عليهم إلا الخروج منها والمكوث في باكستان إلى حين استقرار الوضع، ولكن تعذر عليه الدخول للمرة الثانية إلى أفغانستان بسبب وقوع خطأ في كتابة اسمه بالحروف الإنجليزية بالتالي التأخر في منحه إذن الإقامة وبقي محجوزا حتى جاءت سيارة عسكرية مع مجموعة من الرجال، وسارت بهم نحو طائرة أمريكية مقيدين عائدين إلى قندهار حتى وجد نفسه أمام قضبان حديدية دون أي دراية بما ارتكب، وفي ظل كل أشكال التعذيب والتعنيف التي عاشها في ذلك السجن وأمام كل التساؤلات والتحقيقات تظهر شخصية أسامة بن لادن في خلفية الأحداث وهي شخصية مثيرة للجدل في العالم العربي، ولكن بصورة أخرى غير تلك التي اشتهرت عنه حيث تناول في روايته بشكل غامض وسطحي إلا أن الاستجواب مع البطل يوضح لنا حقيقة هذه الشخصية التي كانت وراء الأحداث التي عاشها، وانقلاب حياته رأسا على عقب بعد لقاء جمعهما في السودان.

في الأحداث الأخيرة من الرواية ونهاية التحقيق بدى له بصيص من الأمل وأن الفرج قريب بعد تصريح الضابط بأنه اعتقل بالخطأ ليصطدم بالواقع الأليم الذي تمثل في اعتقاله مرة أخرى في سجن جوانتانامو الموجود في كوبا ليختتم يوسف زيدان روايته بنهاية مفتوحة تثير مخيلة القارئ.

ملخص البحث:

تسعى هذه الدراسة والمعنونة بـ: "تمثيل الواقع العربي" في رواية "مُحال" للكاتب يوسف زيدان إلى بيان حقيقة الواقع العربي بمختلف أبعاده السياسية، والدينية، والاجتماعية، التعرف على ثقافة وتاريخ معظم البلدان العربية وغير العربية بحكم الرابط الديني والواقع المشترك الذي يجمع بينها، والتطرق إلى أهم العوامل التي ساهمت في تدهور أوضاع هذه المجتمعات في جميع الأصعدة والذي أدى إلى افتقارها إلى الأمن والاستقرار.

ومثّل الكاتب هذا الواقع وفق ما يتماشى وأيديولوجيته وعلى حسب رؤاه وأفكاره الخاصة، ذلك لتعزيز الوعي تجاه قضايا المجتمع والتحفيز على ضرورة التغيير.

الكلمات المفتاحية: تمثيل، الواقع، الرواية، الأيديولوجية.

Research Summary:

This study, titled "Representation of Arab Reality" in the novel "Muhal" by Youssef Ziedan, aims to elucidate the true nature of Arab reality in its various political, religious, and social dimensions. It explores the culture and history of most Arab and non-Arab countries, given their shared religious ties and common reality. The study also addresses the key factors that have contributed to the deterioration of conditions in these societies across all levels, leading to a lack of security and stability.

The author represents this reality in a way that aligns with his ideology and personal views, aiming to enhance awareness of societal issues and to emphasize the need for change.

Keywords: Representation, Reality, Novel, Ideology.